"الصفح" بين الذاكرة الفعّالة والنسيان المفترض في الرواية العراقية

الاستاذ المساعد الدكتور

ناهضة ستار عبيد

nahidha.sattar@qu.edu.iq

المدرس المساعد

رنا فرمان محمد

rana.mohammed@qu.edu.iq

كلية الآداب – قسم اللغة العربية

"Forgiveness' Between active memory and supposed forgetting in the Iraqi novel

Prof. Dr Nahidha Sattar Oubaid
Assistant Lec. Rana Frman Mohammed
College of Arts - Department of Arabic Language

الخلاصة :

يقدم البحث مفهوم "الصفح" استراتيجية للنسيان، النسيان بوصفه فن أو ذاكرة سعيدة على حد تعبير "بول ريكور" مؤكداً بذلك المفهوم الفلسفي للصفح عند "جاك دريدا" الذي نأى به عن محددات المفهوم في حضوره الديني الأول، أو في فضائه القانوني أو السياسي، أو أي اتفاقيات تخرج بمفهوم الصفح عن فعاليته التي تتناسب مع أحداث الانتهاكات الكبرى حيث بلوغ الجريمة حيز المستحيل نسيانه، أي بلورة مفهوم الصفح القادر على نسج خيوط التواصل والتعايش في مجتمعات التعددية الثقافية أومجتمعات الصراعات المذهبية أو الأيديولوجية، أما الشق الجانب الآخر من البحث فهو محاولة رصد أساليب التوظيف الفني للمفهوم داخل النص الروائي وقد وقع الاختيار على مجموعة روايات؛ "حارس التبغ" و"الوليمة العارية" لـ"علي بدر"، ورواية "عذراء سنجار" لـ"وارد بدر السالم"، و"ما بعد الحب" لـ"هدية حسين"، و"حدائق الرئيس" لـ"محسن الرملي"، و" سواقي القلوب" لـ"انعام كجه جي" .

كلمات مفتاحية

الصفح – الذاكرة الفعالة – النسيان – الصفح المطلوب – الصفح الممنوح – التعددية الثقافية – الرواية العراقية – فنتازيا الحدث

Abstract:

The research presents the concept of "forgiveness" as a strategy of forgetting; forgetfulness as an art or a happy memory. Paul Ricorer affirms the philosophical concept of Jacques Derrida, which distanced itself from the concept of forgiveness in its first religious presence, its legal or political space, Or any agreements that deviate from the concept of its effectiveness, which is commensurate with the events of violations, so as to reach the bonds of communication and coexistence among communities in multicultural societies, events that require the need to be aware of the concept of forgiveness in societies of sectarian or ideological conflicts.

Keywords

Forgiveness - Effective Memory - Forgetting - Required Forgiveness - Granted Forgiveness - Multiculturalism - Iraqi Novel - The Fantasy of Happiness

مقدمة

يقدِّم البحث مفهوم "الصفح" بما هو استراتيجية نسيان؛ النسيان بوصفه فنّاً أو هو "الذاكرة السعيدة" كما أكّد "بول ريكور"، الصفح بمفهومه الفلسفي الذي قدَّمه "جاك دريدا" والذي ينأى عن المفهوم في حاضنته الدينية الأولى، وحيِّزه القانوني، أو السياسي، أو أي اتفاقات تنحرف بالمفهوم عن فاعليته التي تتناسب مع أحداث الانتهاكات الكبرى بحق الإنسانية، ليصل ما قطعته – من حبال التواصل والتعايش بين الطوائف في مجتمعات التعددية الثقافية – الصراعات والأحداث التي تستدعي ضرورة الوعي بمفهوم الصفح في مجتمعات الصراعات الطائفية أو الآيديولوجية، فيتكون البحث من تمهيد وثلاث مباحث وخاتمة ومن ثمَّ قائمة بالمصادر .

تمهيد

يرد معنى كلمة "الصفح" في **اللغة** عند ابن منظور بمعنى "الجَنْب" (صَفْحُ الإنسان: جَنْبُهُ، وصَفْح كل شيء جانبُهُ)[1] وجاء أيضاً إنَّ (التصفيح والتصفيق واحد؛ يُقال: صَفَّحَ وصَفَّقَ بِيَدَيه؛ قالَ ابن الأثير: هو مِنْ ضَرْب صَفْحَةِ الكَفِّ على صفحة الكَفِّ الأُخرى... والمُصَافَحَةُ: الأَخْذُ باليد، والتَصَافُحُ مِثله)[2] وليس كلُّ مَنْ تصافحا صفا قلباهما، فقد تتلاقى الأَكُفُّ على غير مودَّة إنَّما مِنْ أجْلِ التواصل المحض، وقد وردَ الصَفْحُ في القرآن الكريم في مواضع كثيرة جاء في بعض من الآيات إلى جانب كلمتي ؛ "العفو"، و"المغفرة"، مثل قولهِ تعالى: ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3] وقولهِ تعالى: ﴿ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4] فيمكن أن نحدد معنى "الصفح" في **الاصطلاح** في تفسير هذه الآية هو (الإعراض عن المذنب ، أي ترك عقابه على ذنبهِ دون التوبيخ)[5] أي محاولة نسيان الذنب مع عدم الخوض في تفاصيل الاعتداء؛ الأسباب والمُسوِّغات،

ومن ثمَّ عدم إنزال العقاب بالمثل فمضمر الخطاب أنَّ الله هو من يتكفَّل بذلك بوصفه اشتراطاً يُوجِب الصفح . والصفح في الثقافة العربية يتحرَّك ضمن شبكة من المفاهيم مثل العفو، والمغفرة، والتوبة ، والغفران ممَّا يجعل مفهوم الصفح بما هو عليه سلوكاً أخلاقيا واعياً واستراتيجية للنسيان مغايراً للدلالة الدينية (٦)- كما سنتبيَّن- ويمكن التعريف أيضاً بأنَّ (الصفح يعني امتلاك القدرة على تجاوز الأثر الذي تُحْدِثُهُ الإساءة، والتَحرُّر من دائرة ردِّ الفعل التي يبقى الإنسان في الغالب أسيرها فكراً وسلوكاً ، إلّا إنَّ تحرراً كهذا لا يمحو ذاكرة الإنسان، ولا يقوم على هذا المحو أصلاً)(٧) أي أن الصفح لا يكون صفحاً إلَّا مع استمرار حضور الحدث أو الاعتداء في الذاكرة ومن ثمَّ يكون اختبار القدرة على عدم المطالبة بالقصاص بوصفها صفحاً، فهو يحدث في لحظة المستحيل نسيانه - أي حدث الإساءة - بفاعلية مانعة للمستحيل عدم فعله - أي الانتقام - لذلك يعبر عنه "بول ريكور" بـ (اللغز) فالصفح عنده هو (لغز الرفع الممكن لعدم القدرة الوجودية هذه، المُعبَّر عنه بكلمة الغفران)(٨)، أمَّا "حنَّا آرندت" فهي تُعرِّف الصفح انطلاقاً من علاقته بالفعل الإنساني "الصانع" الذي يُميِّز الإنسان عن غيره من الكائنات والمرتبط بالسيرورة دون القدرة على العودة إلى الوراء - التي عبر عنها "بول ريكور" بعدم القدرة الوجودية - (هو رد الفعل الوحيد الذي لا يقتصر على إعادة إنتاج الفعل، ولكنَّه يمارس فعله بطريقة جديدة و لا متوقَّعة ، وهي التي تُحَرِّر بالتالي الصافح والمصفوح في آنٍ واحد من الآثار الناجمة عن الفعل)(٩) أي إنَّه فعل مغاير ليس من جنس الفعل الصانع – للحدث – بعدِّ قدرته على العودة إلى الوراء وإعادة ما حدث بطريقة غير متوقعة بوصفها تتمثَّل الترميم ومد جسور التواصل من جديد رغم اعتمال الحدث مستمراً في الذاكرة بوصفه حدثًا لا يمكن جبر ضرره . ويُعرِّف "إدغار موران" الصفح انطلاقاً من جوهره الإيتيقي أو الأخلاقي قائلاً (الصفح رهان أخلاقي، وهو رهان يبتغي بعث أو إحياء

مُرتكب الخطأ من جديد، إنَّه رهان حول إمكانية تَغيُّر مُقترِف الشر وتحوُّله إلى الخير ذلك لأنَّ الكائن الإنساني ليس كائناً جامداً إذ باستطاعته الارتقاء إلى الأحسن أو التقهقر إلى الأسوأ)[١٠] أي إنَّه يعوِّل في تحقيق ملكة الصفح على المستوى الأخلاقي للجاني أو مُرتكب الخطأ بوصفه تركيبة متناقضة من الصفات – تبعاً للطبيعة الإنسانية- ومستويات الأداء الأخلاقي الخاضعة للتغيُّرات والتبدُّلات وفقاً لحركة الزمن والسياقات المحيطة به .

المبحث الأول

الصفح : الذاكرة الفعّالة

يُعَدُّ بديهياً ارتباط "الصفح" بالخطيئة أو الاعتداء الواقع من طرفٍ على طرفٍ آخر (لأنَّه لا يوجد من يستطيع الصفح لنفسه)[١١]، فهو مفهوم أخلاقي شهد تنظيراً مفاهيمياً واسعاً كاشفاً عن مدى أهمِّيَته كاستراتيجية فاعلة في ترميم خراب المجتمعات جرَّاء أحداث الانتهاكات الحاصلة وخطابات الموت الناتجة عن أزمات التطُّرف الآيديولوجي والديني والطائفي والعرقي . وقد كانت قراءة "جاك دريدا" لمفهوم الصفح من أبرز القراءات التي جاءت مناقشةً لإطروحة الفيلسوف الفرنسي "فلاديمير جانكليفيتش" ضمن كتابيه؛ (الصفح) ١٩٦٧، و(ما لا يقبل التقادم) ١٩٨٦ [١٢]، إذ يتخذ المفهوم عند "جاك دريدا" مساراً استثنائيًّاً واستقلالية واضحة فهو يعزل "الصفح" بوصفه سلوكاً أخلاقياً واعياً وفاعلاً عن أصله الديني . رغم أنَّه يأخذ بالاعتبار أصوله اليهودية – المسيحية فيما يتعلَّق بإنجاز المسيح تفرقة عن مفهوم الصفح المتعارف عليه في الحقل الديني عامةً حين قوله : "اصفح عنهم فإنَّهم لا يعلمون ماذا يفعلون" مع توفُّر عدم سيادة للطرف المطلوب منه الصفح مستدلًّاً على ذلك بما يَعُدُّهُ شكّ المسيح في قدرة الذات الإلهية على حمايته حينما قال له: "ربَّاه ، ربَّاه لماذا تركْتَني" ورغم ذلك فهو يطلب منه الصفْح عمَّن أساؤوا بوصفهم لا يعلمون،

صفح متجرِّد وغير مشروط أو مقنن وفق ثنائية الضعيف والمتسيِّد وهو بحسب "إدغار موران" - متفقاً مع "جاك دريدا" - الصفح بما هو كذلك انبثق من داخل العالم اليهودي ، في حين أنَّ ثيمة الصفح المتعارف عليها التي تحيل إلى الصفح العظيم عند اليهود، و "صلاة الكيبور"* و "الصلاة الكاثوليكية" القائمتان على طلب الصفح التي تمثِّل بحسب دريدا أكبر تقاليد الصفح الدينية والروحية في اليهودية فضلاً عما ورد في الأديان الأخرى فهي لا تستثني الصفح من أفق الخلاص أو أفق المصالحة عبر الإقرار ووخز الضمير أو الندم والتضحية والتكفير(١٣)، إذ يرى دريدا إن "الصفح" يختلف في دلالته الاجتماعية تداولياً لكنه يشترك في السياق العام المُستمَد من الدلالة الدينية ؛ القرآنية والإنجيلية القائمة على غفران الخطايا والذنوب(١٤)، أما "الصفح" الذي يقصده دريدا فهو خارج عن السياقات الدينية والسياسية والقانونية لأنَّه يترافق والجرائم الكبرى والانتهاكات العابرة حدود الإنسانية إلى حد الشر الجذري والمطلق والتي (لا يمكنها أن تستقيم والفكرة الساذجة عن الصفح بما هو توافق سياسي أو قانوني أو تشريعي أو ديني حتى؛ إن هذه الفظائع تدخل في باب ما لا يقبل التكفير، وما لا يقبل جبر الضرر ، وما لا يمكن محوه ، والعضال ، وما لا رجعة فيه ، وما لا يُلغى أو يُنقض ، إنَّها تتجاوز الحد النهائي والأخير)(١٥) مثل حوادث الإبادة التي يزخر بها تاريخ العراق الحديث أمثال ؛ (حادثة الفرهود) التي تعرَّض لها العراقيون اليهود عام ١٩٤١ ، والإبادة التي تعرَّض لها العراقيون الشيعة في (حادثة سبايكر)، ومجزرة العراقيين الأيزيديين في (حادثة سنجار) في مدينة الموصل التي قُدِّمتْ في رواية **(عذراء سنجار)** للروائي (وارد بدر السالم) حينما سعى فيها لمقاربة الحدث عن طريق أسلوب البناء الفني الذي جمع بين الواقع والفنتازيا وكثيراً ما يعمد الروائيون لأسلوب الفنتازيا في مقاربة الأحداث الفادحة التي يفوق ضررها اللامعقول بغية تحقيق التماهي بين الواقع والنص ، وهذه المجزرة

هي انتهاك وحشي على يد تيار متطرّف دينياً بلغ ضرره مستوى ما لا يقبل التكفير متجاوزاً الحد النهائي لأنَّ هدفه هو محو المُختَلِف عن طريق التمييز الديني لذلك أصبح الإسلام في الواجهة لهذا الحدث مع الأخذ بالنظر جميع الممارسات التي مورست بحق الضحايا ؛ تقول "المرأة الحامل"❖ لـ (سربست) الذي تحوَّل إلى (آزاد) المسلم قسراً العائد من جبال التهجير بحثاً عن (نشتمان) ابنته حينما سألها عن أهالي سنجار بعد الانتهاك : **((–هل هناك شنكاليون في المدينة ؟ ... –هربت الأغلبية التي استطاعت أن تهرب ، وبقينا نحن أسرى . –ومنْ بقي .. ؟ - ستعرفهم .. الخلايا النائمة التي غدرت بسنجار.. –العشائر العربية التي عاشت معنا أعماراً طويلة .. لماذا غدرتنا! – بعد الغزو جمعوهم في القابوسية ليكونوا بمأمن بعد أن استولوا على بيوت الشنكاليين))**[١٦] إلى جانب تقديم خطاب التمييز هذا فقد تنوَّعت ممارسات الإبادة والمحو والإلغاء مرَّةً مع الناس اشتغالاً على الهوية ممثَّلةً في تحويل ديانتهم وتبديل أسمائهم ولغتهم أو قتلهم وتهجيرهم ؛ ففي حوار المرأة الحامل و (سربست) يقولان : **((–الذين هربوا ليسوا أفضل حالاً من هنا .. حياتهم بائسة جداً –في الأقل لن يطاردهم الموت ولا اعتناق ديانة أخرى بالإكراه ..–تركوا أنصافهم هنا بين من اعتنق الدين الجديد مكرها وبين من وقع في الأسر وبين من قُتِل .. كل شيء مؤلم هناك ... فقدوا أيزيديتهم مضطرين وصاروا مسلمين ومن رفض قطعوا رقبته بشكل سهل ، ومن هرب نجا لكنّه ترك بيته وماله وربما بعضاً من عياله ... قتلوا كثير من الخلق من دون سبب اغتصبوا البنات والصبايا والمتزوجات معاً ... جاؤوا بتجارة الرقيق بطريقة كنا نقرأها في كتب التاريخ القديم ... يعتبرون الأيزيديات كافرات لذا يتوجب سبيهنّ ونكاحهنّ وبيعهنّ في سوق النخاسة ..))**[١٧] ومرَّةً أخرى عبر محو الهُويَّة المكانية ؛ سنجار المدينة تاريخاً ومعالماً ، يُحدِّث (دلشاد)❖ نفسه وهو يجوب مع مسؤوله الأفغاني في المدينة مُعَرِّفاً إياه أسماء مناطقها وقراها :

((يحدث كثيراً أن يجتاحني دلشاد خريج قسم التاريخ في جامعة الموصل حينما نمرُّ بأثرٍ مسحوق أو مكان يقود إلى آثار معينة ، أريد أن أقول له أنّ سنجار من المدن المشهورة في إقليم الجزيرة وعمرها أكثر من ستة آلاف سنة وهي ثاني أقدم مدينة في الشرق الأوسط بعد مدينة دمشق ، ومنذ القِدَم كانت محطة استراحة الملوك والأمراء على مدى التاريخ ... طالعتنا أطلال منارة سنجار الأثرية التي فجروها سابقاً فكنت أهمس له بأنّ المنارة التي كانت هنا عمرها أكثر من ٧٠٠ سنة ... كان قلبي يتفتت وأنا أرى الفراغ الذي تركته مع البيوت الطينية التي انجرفت بفعل التفجير ... لكنّه يقول بصلافة إنسَ الماضي يا أيزيدي وعليك بحاضر دولة الخلافة ، أصبحت مسلماً ولا عليك بكتب التاريخ وأكاذيبها))[١٨] هكذا تبدو جدلية الذاكرة والنسيان بين ذاكرة التَّمثُّل ؛ تيار التطرُّف وتمثُّل الماضي من جهة ، ونسيان هُويَّة الآخر المُختَلِف لغرض محوه وإلغائه ، يقول (عبد الحافظ) عن دلشاد التاريخ وهو يراقب التغيُّر المكاني : ((رأى خراب المدينة وتغيير هيكلها ومسح بيوت الطين التي كانت تشكّل مستعمرات من الحياة متضامنة ومتكافلة عقوداً طويلة ، أردت أن أقول له لماذا جرفتم بيوت الطين ... لماذا فجرتم التاريخ الجميل لكنّي كنت أخشى على عبد الحافظ الذي له زوجة وولدان ... نحن جمهورية من طين يا حجي خان المجاهد ، كل التاريخ البشري كان طيناً وسنجار هي الطين الذي بقى حتى هذا اليوم لكنّكم أزلتموه بالجرّافات والمتفجّرات وتركتموه عارياً ... يمتلئ فمه بالضحك حينما أخبره بأنّي وريث بابل وآشور وسومر وإنّي من ضلع تلك الحضارة العظيمة ومن قبل الميلاد بعشرات المئات من السنين))[١٩]

لقد تعرضت المدينة للتغيير على يد هجمة واقفة تحت مظلة الإسلام سواء سكنة المدينة من المسلمين ممن تواطئ مع العصابات والعشائر التي غدرت بهم أو الجماعات المتطرِّفة نفسها بدعوى نشر الإسلام وإحقاق الحق ، تقول المرأة الحامل : ((تغيّرت شنكال في هذه الشهور ... فجروا معابد شيخ مند باشا

وشيخ حسن وأمادين ومرقد السيدة زينب وكنيسة العذراء ومرقد ذاكر الدين ومعظم الجوامع والمساجد وأحرقوا أعلام الوطن ورفعوا راياتهم السوداء في كل مكان .. تغيَّرت الحال معهم))[٢٠] فقد تعرَّضت طائفة بأكملها لزلزال وجودي يتعذَّر معه النسيان بما يُشكِّل سياقاً مُحدِّداً للحدث ممَّا يتطلَّب سلوكاً يتلائم وذلك السياق ألا وهو "الصفح" ، لأنَّ (فعل الصفح لا يعني فعل النسيان)[٢١] وفي سَورة خوف "فلاديمير جانكيليفيتش" – المتشدِّد للذاكرة – من أن يؤدِّي الصفح إلى إنتاج النسيان فإنَّه يقول "لا للصفح" بذريعة أنَّه لا ينبغي للمرء أن ينسى بل يرى إنَّ الصفح "مستحيل" في حال بلغ الأذى حد الشر المطلق ، لذا فهو استهلَّ كتابه (ما لا يقبل التقادم) ببيتين لـ "بول إيلوار"❖ "لا يوجد خلاص على الأرض طالما أنَّنا نستطيع الصفح عن الجلادين"[٢٢] ، وكلمة المستحيل هي النقطة التي وقف عندها "جاك دريدا" لإثبات إمكان الصفح رغم استحالته سياقياً إذ يرى إنَّ (إمكان الصفح ، إذا وجد ، يقاس حقاً إلى محنة المستحيل)[٢٣] أي أنَّه ممكن من جهة كونه مستحيل ويستثمر دريدا اللغة للتعبير عن رؤيته الفلسفية مستعملاً كلمة منفية تحمل دلالة "مستحيل" : im–possibie فإذا أصبح الصفح مستحيلاً فإنَّه بالإمكان أن يصبح ممكناً من جهة "إمكان" تحوُّله مستحيلاً أي من داخل المنطق ؛ منطق المستحيل ، فالصفح لا يتحقق بمعناه إلَّا عند بلوغ الجريمة حيز المستحيل أو الفظاعة ، وتتحدد مظاهر استحالته عبر استثنائيته أي خلوصه من الشروط أو السياقات السياسية أو القانونية أو الدينية فهو إمكانية مستحيلة لكونه لا يخضع لشروط ولا لسياقات مؤسساتية وبحسب دريدا إنَّ صفح الجريمة التي لا تقبل الصفح هو تحدِّياً للمنطق الجنائي فهذه السياقات تقوقع الصفح داخل نسق مغلق مُتَّفق عليه سلفاً تزيح عنه ظلال الاستحالة [٢٤] ومن ثمَّ معناه ، ويمكن أن نرصد ملامح الصفح في النص الروائي عبر شخصية (سربست) – العائد من النزوح بحثاً عن ابنته (نشتمان) – بوصفه الشخصية المحورية التي في

مقابل كشف معاناتها يمكن أن نجد روح الصفح السامية في بناء الشخصية عبر ما يظهر من موقف مُتَجَرِّد تجاه الإسلام - رغم الضرر الماحق الذي وقع عليهم باسمه وتحت رايته - وعبر طبيعة ونمط أفكاره ورؤاه ؛ وهي الحالة التي يضعها "إدغار موران" ضمن ما يسمى بـ"الفهم" وهو المفهوم الذي يتأسس عليه الصفح بوصفه أي الصفح مفهوم غير قابل للعزل خلافاً في ذلك لـ"جاك دريدا" ، وهو قائم على عدم اختزال الشخص في الجرم أو الجناية التي ارتكبها وقد أشرنا للفهم في بداية الفصل بأنه فهم لمبررات الغير وتعقُّل لجنونه[٢٥]، فنجد مثلاً في المنولوج الداخلي ما يعكس جانب من ذلك ؛ حين يتساءل محاولاً إيجاد إجابةً أو مبرراً لدهشته هول فنتازيا الحدث ، يقول : **((كنت اتساءل دائماً لماذا هو الإسلام وحده من يقترف الجمعة زمناً للخوف والرهبة في الجوامع والحسينيات؟ فتأتي الأجوبة مختلفة ... إجابة تزيد من وطأة الرهبة وأختها التالية تخفف منها ، وثالثة ترى الأمر سليقة وفطرة ارتجالية وصلت إلينا فاعتدناها ، وتأتي الرابعة ... لترى أن داعش ليست هي الإسلام وبهذه الصيغة المرعبة ...ترى الخامسة إنّه امتحان للمؤمنين على مختلف أشكالهم وألوانهم ولغاتهم من هذا الخطر الذي يمسك راية سوداء أخرجها من الكتب القديمة وسار على تعليماتها المخطوطة بدماء المسلمين وغير المسلمين... وتؤكد السابعة على إنّ داعش سياسة غربية هدفها تفتيت الإسلام وتحقيره بين الشعوب الإسلامية قبل غيرها ... إنّه صناعة عالمية بفؤوسٍ محلّية إسلامية طائفية تتوخى تقسيم البلدان إلى أسود وأبيض... ومن كل هذا أتساءل ببساطة وألم : وما ذنب نشتمان وغيرها من هذه الفوضى بإجاباتها الإسلامية الفوضوية التي لارابط لها ... ما الذي يجري بيننا أيها الرب))**[٢٦] فهذا فهم ؛ يُعلِّمنا بحسب موران بأنَّ السيرورة العقلية المعروفة بخداع الذات selfdeception أو الكذب على الذات يمكن أن تقود إلى التعامي عن الشر الذي نرتكبه ، وإلى اجتراح آليات التبرير الذاتي التي تسوِّغ

لنا قتل الغير ، وتظهره كأنَّه إحقاق للحق أو معاملة بالمثل ، وغالباً ما ينتج هذا العمى بسبب أثر ثقافي ما على العقول ، أو تكون وراءه قناعة متعصبة سياسية أو دينية [٢٧]، مثلما هو الحال مع تيار التعصب هنا فنلحظ الرؤية الموضوعية في قدرته على التفكير بالأسباب والدوافع والعمى الفكري وكل ما يمكن أن يُحتِّم ما جرى بوصفه نتيجة لصراعات القوى الكبرى إذ (يتوفر هذا المجهود المبذول من أجل الفهم على شيء مثير للغاية ؛ ذلك إنَّ من يفهم يجد نفسه في حالة لا تناظر كُلِّي مع المُتعصِّب الذي لا يفهم شيئاً ، الأدهى بأنَّه لا يفهم بأننا نفهمه)[٢٨]، ولكن بين كل ذلك يقفز ألمه نافياً كل المبرِّرات والمسوغات بوصفه الألم غير القابل للنسيان الذي تحرسه الذاكرة الفعَّالة ، تقول الراهبة - التي زارته في جبل النزوح – في لحظات غضبه وتوهانه وفقدان سيطرته على أفكاره : **((هؤلاء شذّاذ الدين ، خالطت المسلمين والمسلمات من سنوات ولم يكونوا على هذه الشاكلة من الدين أبداً))**[٢٩] فتمرُّد (سربست) على الدين هو انفعالات لحظية ، معاناة ونزيف جراح غائرة ، ظلال الفقد والذُّل التاريخي المتتالي لطائفة تحمل وزر تطرُّف الآخر وفهمه الخاطئ للدين ، هو تمرُّد على دين المؤسسة أي الذي تحوَّل إلى أداة سلطة وذريعة لتحقيق الأطماع والأهواء لأنَّه في النهاية يقول : **((لا وصايا على الإنسان إلّا وصايا الرب .. الرب هو الحقيقة الأخيرة))**[٣٠] في هذه الجملة : الفهم ، تكمن المعرفة ، بوصفها أساس القوَّة التي تتشكَّل عنها القدرة على الصفح فالطرف الذي يقع عليه فعل الإساءة حينما يُقدِّم الصفح فإنَّ ذلك يعدُّ قوة وفق المعيار الأخلاقي والإنساني ؛ قائمة على أساس من الفهم ، إذ لا يصفح إلاَّ مَنْ امتلك القدرة والقوَّة المعنويَّة على تجاوز الأذى وهنا تكمن صعوبة الصفح فقد لا يكون العذر المُلْتَمَس مُكافئاً للإساءة لأنَّ (ما يستلزمه الصفح من ذاكرة فعَّالة تستحضر الشر ومعه الجاني)[٣١] تجعل في حال من الصفح الاستراتيجية الأصعب بين استراتيجيات النسيان الأخرى لأنَّ فعل الصفح ليس من جنس

فعل الأذى كفعل الانتقام مثلاً، إنَّ (الصفح ليس سهلاً ، الصفح أصعب من الانتقام؛ لأنَّ ما ليس من جنس الفعل أصعب ممَّا هو من جنسه، الصفح فعل لا يشبه الفعل، بينما الانتقام رد فعل يشبه فعل العدوان)[٣٢] إذ إنَّ "الذاكرة الفَعَّالة" هي السمة الرئيسة التي تُحَدّد مفهوم الصفح عن المفاهيم المُقاربة الأخرى أو هي المسؤولة عن تحديد "ما لا يقبل الصفح" الذي يُفرِّق "بول ريكور" بينه وبين "ما لا يقبل التقادُم" الذي بالإمكان تشريعه نقيضاً لفكرة "التقادم" التي يصفها ريكور بالنقطة العمياء في القانون بوصفها؛ إفلات من العقاب مُكْتَسَب بفعل الزمن، فما لا يقبل التقادم هو نوع من (التأكيد الوضعي بأنّ بعض الحقوق المشهورة بكونها طبيعية تملك قيمة ثابتة لا تتغيَّر، وهي لهذا السبب حقوق لا يجب التصرُّف فيها، وبالتالي يتمُّ إعلانها غير قابلة للتقادم)[٣٣] وهو مفهوم ينتمي إلى المجال القانوني، ويؤكد على ذلك أيضاً "جاك دريدا" بوضوح بأنَّ ما لا يقبل التقادم ليس هو المتعذَّر الصفح عنه لأنَّ مفهوم الصفح أو ما لا يقبل الصفح يبقى مبايناً للبعد القضائي أو الجنائي الذي ينظِّم زمن التقادم أو لا تقادمية الجرائم [٣٤]، أما ما لا يقبل الصفح فإنَّ الذاكرة الفعالة تموضعه ضمن دائرة ما يسميه "بول ريكور" اقتصاد العطاء أو العفو بما يشير إلى خصوصية ارتباطه بالجماعة المُتضرِّرة دون غيرها، أي أنَّ (الصفح هو ما يختص الضحايا وحدهم بمنحه، كما في وسعهم الامتناع عن إعطائه، لا أحد يمكنه بالنيابة عنهم أن يصدر مرسوماً يقرِّرُ فيه أنَّه يتعيَّن في يومٍ من الأيام، على أقارب الضحايا أو من كُتِبَتْ له النجاة منهم، أن يصفح مهما كانت بشاعة الجريمة المُقتَرَفة، فلا أحد يستطيع التحكُّم في زمن المعاناة وزمن الحداد)[٣٥] وهي ما يعبِّر عنها "جاك دريدا" بـ "وضعية وجهاً لوجه" أي من دون وساطة بين ذلك الذي ارتكب الشر الذي لا يقبل التعويض والمستحيل التراجع عنه وبين من خضع لذلك بوصفهما الوحيدين القادرين على فهمه، وطلبه، ومنحه أو رفضه، ويحدِّد دريدا أن عزلة الأثنين في مشهد الصفح هذه؛

هي أصالة كل صفح مطلوب جماعياً، ومانعة معنى نيابة عن طائفة سواء كنيسة أو مؤسسة أو هيئة عن مجموعة ضحايا مجهولة الهوية، أو ميتة أو من ممثلين عنها، وأبناء أو ناجين، وهذه العزلة الفريدة بحسب دريدا تجعل من الصفح تجربة غريبة عن مملكة القانون(٣٦). إذ تبقى الذاكرة هي المُتَحكِّمة فمتى ما انجمع "الحدث /الاساءة" مع "القدرة على العطاء" كان الصفح . وإذا ما بقيت ضغوط الذاكرة تعتمل عند الضحية دون مبادرة طلب الصفح من الطرف المُسيء فإنَّ مثل هذا الإحباط – بحسب نظريات علم النفس حول "الترابطات والتداعيات المعرفية للعدوان"– هو ما يثير مشاعر عدائية، ومن ثمَّ استعداداً انفعالياً للاستجابة ضمن سلوك عدواني(٣٧)، فتكون البيئة مُهيَّئة لنشوب صراعات جديدة تحت مظلَّة ردّ العدوان بمثيله، إنما يتوقف دريدا – المُفارِق دائماً - عند فكرة "طلب الصفح" هذه كما سيتبن لنا .

المبحث الثاني

الصفح الممنوح والصفح المطلوب

يقودنا موضوع الصفح نحو تحديد نوعين منه يتشكَّلان على وفق رؤى كل من "فلاديمير جانكليفيتش" و "جاك دريدا" ، فتدفعنا إضاءات "جاك دريدا" الفلسفية عن مفهوم "الصفح" نحو بعض الأحداث الهامة في حياة مجتمعنا حينما يتوقَّف دريدا عند "لحظة" الصفح ، اللحظة التي لا تتحقق عند "فلاديمير جانكليفيتش" إلَّا إذا كان الصفح مطلوباً من الطرف الذي قام بفعل الإساءة (إنَّ المرء لن يصفح أبداً لفردٍ ما لا يُقرُّ بخطئه ، ولا يندم ، ولا يطلب الصفح سواء صراحة أم لا)(٣٨) وعلى وفق ذلك يتحدّث دريدا عن نوعين من الصفح هما؛ الصفح الممنوح ، والصفح المطلوب ويرى أنَّ الرابط بينهما بمفهوم "جانكليفيتش" للصفح غير تلقائي؛ لأنَّ الصفح بهذه الرؤية هو تأثُّر مفروض بالتراث الديني والروحي للمفهوم(٣٩)، أي بما يقترب من المتعارف

عليه في الأدبيات الدينية المتمثّل باشتراط طلب المغفرة إزاء أي ذنب يُقترف فضلاً عن توفُّر غاية تدفع نحو ذلك، إذ يرى جانكليفيتش أنه لابد من التماهي مع المتضرِّر إنَّ (الصفح لا يمكن أن يكون إلَّا بشرط أن يميت المذنب جسده ويعترف بخطيئته ، ويندم ، ويتَّهم نفسه وهو يطلب الصفح وبالتالي شريطة التكفير وسعياً إلى الافتداء والمصالحة)[٤٠] أي إنَّه لا يكون ممنوحاً قبل أن يكون مطلوباً ، بينما لا ينفك دريدا عن الاستسلام لإغراء الرفض فيرى (أنَّ ثمَّة داخل الصفح ، وداخل معنى الصفح ، قوَّة ورغبة وزخماً وحركة ونداء – سمُّوا ذلك كما تريدون– يقتضون أن يُمنَح الصفح، هذا إن كان بالإمكان منحه، حتى لذلك الشخص الذي لم يطلبه، ولم يندم، ولم يعترف، ولا أصلح ذاته أو افتدى: وينتج فيما وراء ذلك اقتصاد تماهوي، روحي، قد يكون جليلاً أم لا، وفي ما وراء حتى كل تكفير)[٤١] أي أن الصفح الذي يقصده دريدا هو حالة من الترفُّع والسمو الروحي فوق كلِّ تماهٍ مع ما حدث من شر، مُتَّخذاً مكانه فيما وراء التكفير القائم على طلب الإقرار بالذنب وجلد الذات، مفهوم لا يمكن الإمساك بمعناه أو بلحظته، (لا يأخذ الصفح معناه – هذا إذا كان يجب أن يحتفظ بمعنى ، وهو ما ليس مضموناً– ولا يعثر على إمكانيته كصفح إلَّا في الحالة التي يكون مُستدعى للقيام باللا-ممكن(im– possible) ولصفح ما لا يقبل صفحه (im–pardonnable))[٤٢] أي إنَّ ما لا يقبل الصفح تشمل الحدث "الإساءة" وسياقه – أي عدم الاعتراف أو طلب الصفح – معاً، وعن طريق بحثه في أصل كلمة الصفح اللاتيني وبإحالات معقدة تصل به إلى اقترابها من مفهوم العطاء أو الهبة لذلك فهو يرى أن بين المفهومين قرابة أو حلف يحدِّده باللامشروطية من جهة ، ومن جهة أخرى العلاقة الأساسية بالزمن وحركة الزمن مع فارق خصوصية الصفح من ناحية ارتباطه بالماضي الذي لا يمضي مع الصفح ؛ أي أنه تجربة غير قابلة للاختزال إلى تجربة الهبة فالهبة تمنح بسهولة أكثر في الحاضر[٤٣] ، وتدفعنا فكرة الصفح

الممنوح نحو واحدة من أكثر المآسي فظاعةً التي ارتكبت بحق العراقيين وهي مجزرة "طريق الموت"(٤٤) التي قدمها النص الروائي ؛ رواية (**ما بعد الحب**) للروائية (هدية حسين) ضمن حبكة سردية عبَّرت عن حجم الخراب الذي خلَّفَه الحدث داخل النسيج الاجتماعي عن طريق عناصر النص ؛ الشخصيات والفضاء النصِّي من تداخل زمني بين زمن الحدث الذي كان أحد أبطاله (يوسف) خطيب (نادية) بما تسبب في غيابه هرباً إلى إيران ومن ثمَّ بقائها – زمن الرواية – حزينة ومنكسرة حتى هجرتها إلى عمَّان وموتها وبقاء (هدى) الشخصية الرئيسة في النص وراوية الأحداث والصديقة الوحيدة لـ (نادية) قبل أن تجمعهما عمَّان الغربة عن طريق الصدفة ، ومن ثمَّ مصادفتها (يوسف) دون علمها بقصَّته مع صديقتها الأقرب التي عاشت على أمل اللقاء به حتى موتها ، فكان منه بعد طلب ارتباطه بـ (هدى) أن سلَّمها رسالة مرفقة بيومياته مثَّلت وثيقة تنطوي على تاريخ المهمَّش ، تنقض تاريخ هزيمة الجيش الذي اعتدى على دولة جارة عن طريق واقع جريمة كبرى ارتُكِبَت بحق الجنود العُزَّل في طريق محاولة نجاتهم بأرواحهم ، فالمجد للسلطة والحروب للمهمَّشين ، كانت رسالة ويوميات تحمل ماضيه الذي اختزله بذلك المشهد المروِّع الذي عاشه وآثاره بقية حياته ، كتب لها : **((عزيزتي هدى هذه بعض جراحاتي أفردها أمامك ...دوَّنت بعض ما مرَّ بي وهو مشروع كتاب سأسميه (يوميَّات جندي عائد من الهزيمة) ... إنها شهادة على ما عشناه ، ومن حق الأجيال القادمة أن تقف على حجم الكارثة قبل أن ينكر أحد علينا هذا الحق ويسلبنا قول الحقيقة))**(٤٥) يظهر هنا دور النص الروائي في تقديم الحدث للذاكرة الفعَّالة بوصفه حدث لا يقبل الصفح ، كتب في يومياته : **((عائد من الموت ، عائد من كرات النار ، من الشظايا ، من حرائق العجلات ، من القنابل العنقودية ، عائد من أرتال الموت المُتنقِّل حين أصبحت أرتال العجلات المنسحبة هدفاً شهياً للطائرات المغيرة ، فاحترقت العجلات**

والأجساد ، وقذف عصف الانفجارات بالجنود على الطريق ، قتلى ممزقين ، جرحى لم تتوقف عندهم يد تمتد بالعون وظلوا ساهمين يتطلعون صوب الأفق بانتظار موتهم ، وهؤلاء أوفر حظاً من الذين داستهم العجلات في الليل ... وجعلتهم عبارة عن قطع متجلّدة من القماش والأنسجة الحية والعظام ، عائد من كل هذه الفوضى المرعبة))[٤٦] الفوضى هي ما بعد الحب فهو يقدّم نفسه لها إنساناً بهذا الحدث ؛ رجلاً بندوب الموت بعدٍ تداعياته النفسية فالأحداث التي لا تقبل الصفح عصيَّة على النسيان ، فهو يقول : ((مجانية وعبث لا ترقى لهما أي سريالية خالصة حين أسرع أحد الكلاب لأحدى الجثث وراح ينهمك في نهشها ... من عجلة حمل مماثلة لعجلتنا ، متروكة على جانب الطريق ، تدلّت جثّة قتيل من جنودنا وبللتها مياه المطر لتنزل القطرات الحمر منها ولتُشكّل على الوحل خطّاً ورديّاً ، وجه القتيل يواجه الأرض لذا لم أشاهد من ملامحه سوى جذع مُتدلٍّ وأطراف متورّمة ... اقترب من أسماعنا صوت طائرة واقترب بذلك احتمال حريق إضافي واحتمال تشظية عنيفة أخرى تمزّق العدد الوفير من الأجساد))[٤٧] لحظة ملحمية للموت شُنَّتْ بحق مئات من الجنود الهاربين العُزَّل فأنتجت : ((صباح من الحرائق والأجساد المثقوبة بالشظايا ، والمقذوفة على جوانب الطريق، رائحة الأجساد المشوية، نهار مُعطّل عن الحياة... أجساد غافية لم تزل مبللة بالدم أو أخرى مهملة على طرف الشارع، الأرض تكاد تنكمش على أطرافها... تحاملت على بقاياي المتشظية وأثناء مسيري أحسست بعجزي عن الحركة، أحسست أن ظهري قد انكسر! وعرفت حدود التوصيف لتلك الكلمة وكيف تقال لمن تقع عليه نائبة من النوائب، نعم انكسر ظهري.. انكسر ظهر بلادي.. انكسر ظهر.. حين وصلت إلى تلك المجموعات عرفت أنّ الثامنة صباحاً – أي بعد دقيقتين – ستكون موعداً لوقف إطلاق النار!!!... كيف إذن سمحوا لأنفسهم بقتلنا قبل خمس دقائق لا غير.. خمس دقائق كانت تفصل فتية كثيرين عن

الحياة))[٤٨] أحداث مهولة ومجزرة جماعية وانتهاك سافر ومقصود بحق الإنسانية لم يعلم به أحد، لم تنقله عدسات مصوِّرين ولم ينشغل به إعلام سلطة الداخل المُطَبِّل بانتصارات زائفة، يقول: **((امتلكت زمام نفسي وقذفت بجسدي والآخرون سبقوني إلى العجلة... رحنا جميعا نبكي في نحيب جماعي.. نائحون في صباح مجنون وذاهبون نحو مداخل مدن الجنوب الصغيرة التي خرج أهلها يتساءلون عبر مشهدنا الخاطف عن كل الذي جرى، عن ابن ، عن شقيق، عن زوج، عنا أيضاً، نسوة كُثُر نثرن التراب على رؤوسهنّ وأخريات يضربن بالكف على الصدور.. نعم هو يوم التراب على الرؤوس وشق الصدور.. بل هو تاريخ استعادي لمذابح جرت هنا دائماً))**[٤٩] وقد قدَّم (محسن الرملي) هذا الحدث في روايته **(حدائق الرئيس)** النص الذي تعقَّب مآسي العراق - في خلال مرحلة حكم نظام البعث الذي دام لثلاثة عقود- عن طريق صوت المهمَّشين وهم الجنود ممن عاشوا حروب المرحلة بالتتابع ، لذلك يبدأ الفصل المسمى "عاصفة الخراب" الذي يخص هذا الحدث بقول الراوي : **((على مفاجأة صادمة ، استيقظت القرية ، البلد والعالم ، دبابات العراق في شوارع الكويت فجراً))**[٥٠] بغية الإشارة إلى تسلُّط النظام الحاكم ودكتاتوريَّته – عبر استثمار عنصر الدهشة - ومن ثمَّ عدم رضا الجماعة المحكومة بكلِّ ممارسته في الحكم مع عدم القدرة على المعارضة ، يقول الراوي: **((في يوم ٢٤ شباط/فبراير ١٩٩١ بدأت قوّات المتحالفين هجومها البري انطلاقاً من الرمال السعودية ، فتحوَّلت الصحراء المهجورة قروناً إلى أفق مغلّف بالحديد والنار، كان المشهد خرافيّاً بالفعل، بل جهنّمياً، يشي بقدرة وجبروت هذا الكائن الصغير؛ الإنسان، على تغيير وجه الطبيعة الكبيرة بشكل عجيب مخيف، لأم يرَ إبراهيم وأحمد طوال أعوام الحرب الثمانية ضد إيران مشهد معركة على هذا النحو، الأرض تقذف جحيماً والسماء تمطر جحيماً، وهناك قرب "الجهراء" قاوم من الجنود العراقيين**

البسطاء من قاوم بيأسٍ ومات، وخرج آلاف آخرون من الخنادق ملوّحين بكل أبيض في متناولهم ؛ قميص منديل غترة، ورقة، صفيحة ، سروال داخلي.. تعبيراً عن الاستسلام، وثمة جرحى يستغيثون والرمل يدخل جراحهم وأفواههم الصارخة، ولكن الآلات الهادرة التي نبعت من السراب وارمل، ما إن وصلت الخطوط الأولى حتى شرعت بحصد الرايات البيضاء بالرصاص وهرس أجساد الجرحى بعجلاتها والسرفات))[٥١] يرصد النص المشهد بدقَّة وتفصيل بغية تقديم الحدث بما ينطوي عليه من ترويع وقصدية بوصفه حدث انتهاك لا يمكن السكوت عنه ، فمما يجدر الاهتمام به إنَّ هذا الحدث لم يُنظر له في الأوساط الدولية السياسية بوصفه انتهاكاً وجريمة ضد الإنسانية ، إذ لم يقدِّمه إعلام الخارج على أنَّه كذلك ، فقد دخل الحدث ضمن مظلة الحرب ومسمى المعركة لأنَّ الأفراد كانوا جنوداً مع الأخذ بالنظر اعتداء طرف العراق على دولة جارة آمنة - وهو الجريمة الأساسية فيما حدث ضمن عبثية ممارسات سلطة نظام البعث الحاكم آنذاك في العراق بما أضاع إقامة حق انتهاك دماء العراقيين في ظل حدث انتهاك الكويت الذي انصب اهتمام الأوساط الاعلامية نحوه – والأكثر من ذلك أنَّ العراقيين أنفسهم لم يعتبروا ما حدث جريمةً كبرى بحقِّهم لاستبطانهم خطاب الذنب الموجَّه لهم من جميع الأوساط دونما اعتبار أنهم جماعة هي في الأساس رازحة تحت حكم استبدادي متسلِّط ليس لها يد فيما تُزَجَّ به من حروب عبَّرت عنها "حنة آرندت" بأنَّها (أفعال رغماً عن أنفسهم)[٥٢] ، وقد يتبادر إلى ذهن القاريء هنا الأسئلة المُلحَّة الآتية - التي يتعلَّق أحدهما بالآخر - وهي ؛ لماذا تُصرُّ هذه القراءة بأن يُفتَرض أن تُقَدَّم هذه الجريمة إلى طاولة الصفح ؟ ومن ثمَّ لمن يُقدِّم العراقيون الصفح ؟ تقودنا الطبيعة الإشكالية للحدث بوصفه جرى تباعاً لجريمة كبرى أيضاً يجدر أن تُقدَّم هي أوَّلاً إلى طاولة الصفح لأنَّ كلاهما يُصنَّفان ضمن الأحداث التي تدخل حيز المستحيل أو الشر الجذري غير القابلة لجبر الضرر بما يترك أثراً

فاعلاً في النفوس بين أبناء الجماعات المتجاورة فضلاً عن العلاقات السياسية للبلدين الجار فلازالت الكويت شعباً – بعيدا عن سياسة سلطتها – تحمل بشكلٍ جليٍّ قدراً كبيراً من الحقد تجاه الشعب العراقي وفي مقابل ذلك الإحساس الدفين المُختَلَط الذي يضمره العراقيون شعباً لكل من تسبب بالحدث وليست الكويت خارج الدائرة كمتسبب غير مباشر فيه وإن كانت ضحية أولى ، وعلى وفق ذلك فإنَّ ما يدفع إلى تقديم الحدث إلى ساحة الصفح هو كمون إحساس مضمر بالجريمة وفداحتها عند العراقيين وهو الشعور الذي يدفع على نحو غير متوقَّع لأيِّ رد فعل تجاه الآخر في المستقبل وفي المقابل منه نجد مثل ذلك لدى الكويت شعباً عن حدث الاقتحام الفادح ، أي أنَّ هناك ما يعيق التواصلية بين الطرفين مما يحيل دون البقاء كفاعلين أحرار بسبب رغبة دفينة متبادلة بالانتقام في حين (يعتبر الصفح بحق نقيض الانتقام الذي يتحدَّد فعله كرد فعل ضد عثرة أصلية)[٥٣] إذ تؤكد "حنا آرندت" على العلاقة بين الفعل الإنساني الصانع – الذي يميِّز الإنسان عن غيره من الكائنات – وبين الصفح ، مشبهةً العلاقة بينهما بالعلاقة القائمة بين العمل والهدم لأنَّ الطابع المميَّز للصفح هو إلغاء ما تمَّ إنجازه من فعل إساءة ، فالفعل أو العمل الإنساني قائم على السيرورة ومن ثمَّ استحالة الرجوع إلى الوراء فلا يأتي الحل في ذلك إلَّا من ملكة أخرى قد تكون أعلى - يمكن عن طريقه الخلاص من الوضعية التي يستحيل فيها الرجوع إلى الوراء ويتعذَّر فيها إبطال مفعول فعلنا أي المرحلة التي لم نكن نعرف ولا كان بمستطاعنا معرفة ما كنا نفعل أي اللا متوقع – وهي ملكة الصفح[٥٤] ، لذلك فأن الصفح (وبعيدا عن التمكن من وضع حد للآثار المترتبة عن الخطأ الأول ، يقوم بربط الناس بالسيرورة وترك رد الفعل المتسلسل المتَّسمة أعماله بالضخامة ، يواصل سيره بكامل حريَّته ، وفي مقابل الانتقام الذي يُشكِّل رد الفعل الطبيعي والأوتوماتيكي على المخالفة أو الانتهاك الحاصل ، رد الفعل الذي في مقدورنا توقُّعه وتقديره

بسبب عدم قابلية سيرورة العمل للرجوع إلى الوراء)[٥٥] فإزاء هذا الوضع العالق الذي لا زالت تتحمَّل أعباءه الأجيال بالتعاقب (تتيح ملكة الصفح محو أفعال الماضي الذي تُعلَّق "أخطاؤه" مثل سيف دامقليس Damocles فوق عنق كل جيل)[٥٦] فضلاً عن كون الصفح ملازماً على الدوام لإمكانية المعاقبة بحسب "حنَّا آرندت" (أمَّا العقاب ، فهو يعطي إمكانية أخرى غير متناقضة تماماً : يشترك مع الصفح في كونه يحاول وضع حد لشيء ، لو تُرِكَ بدون تدخُّل لاستمرَّ إلى ما لا نهاية)[٥٧] فمع هذه الإمكانيات التي يتيحها الصفح أصبح حضوره ضرورة حتمية لابد من التنبُّه والوعي به في مجتمع الصراعات من أجل التعامل مع الحدث ضمن إطاره .

المبحث الثالث

متلازمات الصفح في الرواية العراقية

الصفح والتعدديّة

تحفر إشارة "حنَّا آرندت" عن علاقة الصفح بالتعددية في أعماق ذاكرتنا لتضعنا أمام حادثة مهمة في تاريخ العراق الحديث وهي "حادثة الفرهود"[٥٨]، وتتحدَّث أيضاً عن ملكة أخرى ملازمة لملكة الصفح هي ؛ ملكة الالتزام بالوعد ، فإذا كانت ملكة الصفح القائمة على أساس إنساني صرف تُقدَّم هبةً تتيح محو أفعال الماضي . فإنَّ الملكة الثانية؛ بحسب "حنَّا آرندت" هي ملكة التزام الوعود التي تروم في خضم هذا العالم الزاخر بالريبة وعدم اليقين -عن طريق التزام الوعود التي يعد المستقبل أحسن تجسيد له- أن تُهيئ مَواطن أمان لا يمكن من دون توفُّرها أن تتحقَّق أيَّة استمرارية أو ديمومة تواصلية على صعيد العلاقات بين البشر، فلولا التزامنا بالوعود لكنَّا عاجزين عن الحفاظ على هويَّاتنا ولتُهنا بلا قوَّة أو هدف في التباسات وتناقضات القلب؛ ظلاماً لا يبدِّده إلَّا بهجة حضور الآخرين في المجال العمومي[٥٩]، (

تخضع الملكتان إذن للتعدُّد ولحضور الآخرين وعملهم ... فالصفح والوعد في حالة الوحدة يظلان غير واقعيين ... تتوافق هذه الملكات بصورة جلية مع الوضع الإنساني الحافل بالتعدد)[٦٠] فالصفح يستبطن خطاب التعايش تأكيداً لهويَّة الطرفين وتلويحاً بتواصل إنساني غير خاضع لضغوط ومحددات مدفوعة بمشاعر شوفينية أو طائفية، ولعل ما تعرَّض له العراقيون اليهود من انتهاك استهدف اختلافهم الديني ؛ سلوك بعيد تمام البُعد عن التعايش بل دخل في حيز الجرائم غير القابلة لجبر الضرر، وقد قدَّم (علي بدر) هذه الحادثة في روايته الأبرز **(حارس التبغ)** التي تصدَّت لتكذيب سرديات الهويَّة عن طريق الكشف عن تداعياتها جرَّاء تدخل طرف السلطة وتحوُّلها مهمازاً للاقتتال والصراعات لذا يقول الراوي في بداية النص : **((ان الهوية ترتبط على الدوام بواقعة سردية ، فهي حكاية تُلَفَّق أو تُفبرَك أو تُسرَد في لحظة هي مطلقة الاعتباطية))**[٦١] على وفق ما ذهب "بندكت أندرسن" في تعريف الأمَّة بأنَّها (جماعة سياسية مُتخيَّلة، حيث يشمل التخيَّل انها محدَّدة وسيِّدة أصلاً)[٦٢] فيتحدَّث الراوي – الصحفي المُكلَّف بعمل تقرير عن حياة الموسيقار العراقي (يوسف سامي)- عنه عندما شهد بوادر الأحداث المروِّعة التي بدأت بحادث حرق خالته (مسعودة دلال) ونهب أموالها ممَّا أثَّر ذلك بحياة (يوسف) شديد الأثر وبحياة الناس جميعاً في بغداد قائلاً **((يمكننا أن نقول هي نقطة فصل حقيقية في تاريخ هذا المجتمع ، فهي التي فتحت الباب على الاعتداء الأهلي ؛ لأنَّها هي كانت أول حادثة اعتداء أهلي وعلى الرغم من أن المؤرخين لا يعيرونها الكثير من الاهتمام ؛ لأنَّ ذاكرتنا الوطنية ضعيفة ، ولكن يمكن أن نردَّ كل اعتداء أهلي في بغداد اليوم إلى ما حدث في العام١٩٤١))**[٦٣] نلحظ هنا فاعلية النص الروائي في تقديم الحدث المنسي بحق طائفة ومكوِّن أصيل من مكوِّنات الجماعة العراقية ، إذ يتحوَّل النص إلى فعل تذكُّر فيقع على عاتقه آليَّة التذكُّر من أجل النسيان . إذ يُكرَّس بحسب "بندكت

أندرسن" في الأعمال الأدبية والفنية ما تنطوي عليه الذاكرة الجماعية المُصَمَّمة في الأساس من الأساطير والروايات الرسمية والتاريخ المدرسي ومن ثمَّ يُعاد تمثيلها بوصفها تفعل فعلها ليس في التذكُّر فحسب بل في تحديد ما يجب أن يُنسى، ويُنسى فعلاً، أي التذكُّر من أجل النسيان أو تذكُّر النسيان(٦٤) على حدِّ تعبيره، وقد اتخذت الرواية هنا هذا المنحى في تقديم ما تنطوي عليه الذاكرة الجماعية جرحاً غائراً نديَّاً إلى ساحة النسيان عن طريق الصفح بما ينطوي عليه من قدرة على ترميم جسور التواصل بين مكونات الجماعة متعددة الثقافات، فيؤكد النص الروائي على شهادة (يوسف سامي) للحدث، يقول الراوي: **((فكيف شهد حادثة الفرهود؟ : كان يوسف قد استيقظ صباحاً مثل كل يوم بعد أن جرَّب لحناً أو لحنين على آلة الفيولون ...فجأة سمع صرخة عارية... ثمَّ سمع صرخة أخرى في المنزل المجاور ، انتبه فتحرك وفتح نافذة شباكه، لقد شاهد يوسف تلك اللحظة النار وهي تشتعل في المنزل المقابل وهو منزل خالته مسعودة الثاني غير منزلها الكبير في محلة الكرادة ، ذلك لأنَّ مسعودة ذلك الوقت أخذت تبيت فيه هاربة من منزلها القديم الواقع في محلّة كلها من المسلمين ، كانت تعتقد أن محلة التوراة المغلقة أكثر أمناً من المحلات المختلطة في بغداد))**(٦٥) كانت العلاقات بين اليهود والمسلمين قائمة على أساس من التعايش إنَّما بدأت تتخذ مسارها نحو التأزم يوماً بعد آخر تزامناً مع الواقع السياسي للبلاد الذي تأثر بصعود تيار النازية(٦٦) ومن ثم صعود التنظيمات النازية في العراق ، يقول الرواي عن خالة (يوسف) : **((لم تعرف أن هذا المكان سيكون نهباً لوجوه غريبة واضحة التجاعيد ، لوجوه لوّحتها الشمس وقد ارتسم عليها الغضب ستكون هذه المنازل نهباً لشباب يرتدون العرقشينات لرجال يتحزّمون بالأنطقة ، ويشمّرون عن سواعدهم المفتولة ، لرجال يقبضون على أعواد الجريد والعصي وأوتاد الحديد يلوحون بها لليهود الخائفين ... كان يوسف يقف في شباك منزلهم المفتوح فاغراً فمه ، وهو يرقب**

العربنجية والحوذيين الذين يمسكون القمجيات ويبدون استعدادهم لحمل المسروقات لمنازل السارقين ... كان يسمع صراخ اليهود الأجش والمتحشرج صراخ الموت... يرقب شاهري السيوف والآلات الحادّة وهم يركضون وراء صبرية بنت داوود أفندي التي تركض بشعرها المشعث، ووراءها مجموعة من المهاجمين الذين جرُّوها من شعرها قبل أن تدخل الدار، أخذ يرقبهم وهم يسحلونها على الأرض ، يرقبهم وهم يعرُّوها من ملابسها وهي تصرخ، يرقبهم وهم يضعون أقدامهم على رأسها ويسحقونه بقوّة... وهما يخلعان أساورها من يديها))[٦٧] يُصرُّ الراوي على تكرار الفعل (يرقب) الذي يُعبِّر عن حالة تضارب المشاعر بين الفزع من أمر ما، والذهول، إلى جانب الرغبة قدر الإمكان في استيعاب ما يحدث أمامه من مشاهد عنف فاقت مستوى التوقُّع عمَّا بدا من عدائية سابقة لهذا الحدث ، فقد بلغت مشاعر الكره مبلغاً شاهت به الوجوه بسبب إن تجرَّدت القلوب من كل مشاعر أو قيم إنسانية في لحظة حشدية طالما تتكرَّر في تاريخ العراق المشحون بالتقلُّبات السياسية، يقول الراوي : **((يرقب الغاضبين وهم يدخلون البيوت بعد أن يكسروا أبوابها أمام اليهود الخائفين والمرتعشين والمتجمِّعين في الزوايا ، كانوا يحملون الأثاث على ظهورهم ويهربون، يرقب القادمين وهم يحملون الأغطية والفرش بعد أن يقلبوا النائمين على الأرض، أو يدخلون المطابخ يحملون كل عدّة الطبخ حتى القدر الموضوع على النار... يأخذون المغرفة من يد اليهودية الخائفة، كانوا يدخلون إلى الحجر يكشون كل شيء بطريقهم، يأخذون الملابس بالصرار والسجاد والبسط والحصران... وحتى الكتب: - "الكتب شلّك بيها قابل إنت تقرأ انكليزي؟""- "يمعوّد شقره انكليزي نوديها للسوق وانبيعها ماكو شي يطلع من بيوت اليهود ما ينباع))**[٦٨] يتحدَّث "غوستاف لوبون" عن سرعة انفعال الجماهير وخفَّتها ونزقها ومن كونها مندفعة من اللاوعي إذ (إنَّ الانفعالات التحريضية المختلفة التي تخضع لها الجماهير يمكنها أن تكون كريمة

أو مجرمة، بطولية أو جبانة وذلك بحسب نوعية هذه المُحرِّضات، ولكنَّها سوف تكون دائماً قويَّة ومهيمنة على نفوس الجماهير... ان الجمهور يمكنه بسهولة أن يصبح جلَّاداً)[٦٩] وهو ما يقودنا نحو الإشارات الأولى الممثَّلة بإلحاح المسيح على ضرورة إقامة الصفح ، وأن يكون موضوعاً متبادلاً بين الناس الذين يستطيعون، إذ يرى أنَّه ليس على الإنسان أن يصفح لأنَّ الله يصفح ، فهم غير مطالبين بمحاكاته ، إنَّما "إذا لم يصفح كل منكم لأخيه من أعماق قلبه " فإنَّ الله "هو الذي سيعاملكم بالمثل" ، وهذا الإلحاح على وجوب الصفح إنَّما يرجع إلى "كونهم لا يعرفون ماذا يصنعون" ومن هذا النص تحوَّل الصفح إلى فهم أو تفهُّم للعمى الإنساني بما يتوافق مع الفكرة السائدة عند الرواقيين والإغريق القائلة بأنَّ الشرِّير جاهل ومعتوه ، فلابد إذن من أخذ هذه الفكرة بالاعتبار لأنَّه بحسب آرندت لا وجود لعلاج قادر على محو ما صنعته أيدينا وإعادة الأمور إلى سيرتها الأولى[٧٠]، فهي أحداث لا علاج لها فضلاً عن كونها لا تُفارق الذاكرة لذلك يضعنا الراوي وجهاً لوجه أمام الصفح بعدِّ الحدث الذي لا يفارق الذاكرة؛ أي ضرورة التماسه ومن ثم تقديمه إن يستطيعوا له سبيلا، إذ يقول الراوي في حديثه عن (يوسف) : **((الشيء الذي لا يفارق ذاكرته هو احتراق كتب الحاخام شموئيل ، واحتراق خالته أيضاً ، كان ينظر – في البداية – نحو الكتب، وهي تتقلَّب في النار... رأى جلدة أغلفتها وهي تتلوى؛ لتأخذ شكل القماش الملموم، وحين بدأت تخفت رأى خالته تجلس أرضاً على ركبتيها العاريتين كان جلدها يحترق، ينسلخ، تتقلَّص عضلات وجهها ثمّ تطقطق عظامها كانت النيران تلتهم شعرها، تغمر ألسنة اللهب وصوت احتراق جسد الخالة يغطي على صيحاته، يترك صوته حروفاً غير مفهومة ومرتجفة، كانت الشرارات ترفرف فوق جسدها قبل أن تتحوَّل إلى مسحوق فحم يتناثر على الأرض ، سقط على الأرض مغمياً عليه .. فتح عينيه ونظر كما لو كان في حلم: كانت خالته على**

بعد متر أو مترين ملقاة على الأرض، جلدها مسلوخ، جمجمتها مفلوقة كانت قد بدأت في الانكماش والتضاؤل حتى لم يبق منها إلا ما هو أقل وزناً من شعرها الأسود الجميل والطويل))[٧١] على الرغم من ان هذا الحدث لا يفارق ذاكرة (يوسف) إلَّا إنَّه لم يستطع العيش خارج بلده بعد الترحيل القسري فكانت حياته عبارة عن محاولات مليئة بالمخاطر من أجل العودة للعيش في العراق فدخل عن طريق إيران بهوية رجل مسلم شيعي وعاش حتى أصدرت الحكومة قرار الترحيل الذي شمله بدعوى "التبعية" ، لكنه لم ييأس فعاود الدخول عن طريق سورية بهوية مسلم سُنِّي وعاش حتى قُتِل أثر الصراعات الطائفية التي حدثت في بغداد بعد سقوط نظام حكم البعث، فيتماهى هذا السياق العجائبي لمحاولات يوسف المستمرة في العودة إلى العراق مع حيِّز المستحيل للصفح لتصبح محاولاته هي ملامح لإمكان الصفح بعينه ممَّا يدفعنا للإستدلال عن طريق فاعلية النص الممثلة بحبكة الأحداث من محاولات متسلسلة، على إمكان المكون اليهودي العراقي في تقديم الصفح، فيسهم النص الروائي في قلب طاولة التوجس الاجتماعي من أحد مكوِّناته الأصيلة عبر الدعوة لإحلال ثقافة التعايش قبل تحقيق الصفح .

الصفح : نسيان مفترض

إذا كنا ندرس الصفح هنا بوصفه استراتيجية نسيان، فكيف يمكن أن نحدِّد العَلاقة بين الصفح وبين النسيان في ضوء ما قيل في ساحات ومنابر الوعي التام به ؛ مثل مقولة نيلسون مانديلا (نعم للصفح لا للنسيان)[٧٢]، أو مقولة جانكيليفتش (الصفح ليس هو النسيان، ولا يجب أن يغدو نسياناً)[٧٣] وكذلك مقولة إنَّ(الصفح لديَّ غير النسيان)[٧٤] التي تنأى بالصفح عن المعنى المباشر والمتعارف عليه للنسيان ممَّا يدفع نحو التنقيب من أجل معرفة؛ إلى أيِّ نسيانٍ ينتمي الصفح .

الجماعة التي تتعرَّض لإساءةٍ ما تصبح ذاكرتهم مُثقَلَةً بذكرى ذلك الحدث ، فتصبح الذاكرة عندئذ خاضعة لـما يسمى بـ "اضطرار التكرار" الفرويدي الناتج عن نقص في تَذَكُّر كل شيء سوى فعل الإساءة، أي هو النسيان إلَّا من ذلك الحَدَث ، وإزاء هذا النسيان هناك ما يُدعى بـ"النسيان الفعَّال" القائم على فاعلية البلورة والصياغة أو ما يسمَّى بـ "الانتقائيَّة" التي تمنح الفرصة لإعادة بناء التاريخ ، ليكون هذا النوع من النسيان هو المسؤول عن الصفح ؛ الذي بدوره – أي الصفح - لا يعني النسيان إنَّما يفترضه ، و"النسيان المفترض" هذا هو نسيان الدَّين لا نسيان الوقائع [٧٥] ، وإذا كان (كل جرحٍ عميق وشمٌ للذاكرة لن ينسى)[٧٦] فإنّه (يتعيَّن الاحتفاظ بأثر دال على هذه الوقائع يُمَكِّننا من الدخول في معالجة للذاكرة ؛ وما ينبغي علاجه هو القدرة الهدَّامة التي تملكها هذه الذكريات)[٧٧] ومن ثمَّ الصفح عمَّا لا يقبل الصفح، لأنَّ ما هو قابل للصفح، مصفوح عنه مقدماً إذ لا يتحدَّد المفهوم إلا إزاء الاساءات الكبرى ، وعلى وفق ذلك يُغاير الصفح مفهوم "المصالحة" لعدم ارتباطه بغاية أو وظيفة نفعيَّة بحسب جاك دريدا – وهي نقطة الاختلاف بينه وادغار موران– بقدر ارتباطه بالشعور الداخلي للضحية، ففيما يتعلق بالمصالحة فإن الضحية يتفاهم مع المجرم، ويتفهَّمه من أجل تجاوز الشر أو تناسيه، أمَّا الصفح إذا أصبحت له غاية نفعيَّة فإنَّه يصبح وظيفياً الأمر الذي يُفقده خاصيَّته التي ينماز بها[٧٨]، الخاصيَّة الناتجة عن ذاكرة فعَّالة ونسيان مُفتَرَض . فإذا كان النسيان لا إرادياً فإنَّ الصفح هو قرار يتَّخذه الإنسان بوصفه ضرورة العيش المشترك [٧٩]، أو بتعبير أكثر دقَّة إنَّه (فعل صعب جداً يقع على التخوم، ولا يعني التخلي عن العقاب فحسب وإنما يقتضي كَرَماً ويتضمَّن لا تناظراً جوهرياً فبدل الرد على الشرِّ بالشرِّ ، أُقابل الشرَّ بالخير)[٨٠] لذا يعبِّر "موران" بأنَّه يتطلَّب من الضحية أن يكون أكثر ذكاء وإنسانية ممَّن كان وراء معاناته إذ إنَّ قيم الفهم كونية شاملة للجميع بما فيهم الضحايا بل هم على العكس أولى

الناس بها فضلاً عن أن العقاب يخدم الذاكرة ويقوّيها[٨١]، بينما الصفح بما يحمله من تعالي وسمو أخلاقي فإنَّه يمنح الدعم للطرف الضعيف أو المُساء له بوصفه قوة وقدرة على الترفُّع .

إذا كان بإمكاننا رصد هذا المفهوم في أكثر الأحداث وقعاً في النفوس وتفعيلاً للذاكرة وهي أحداث الإبادات والمحارق والمذابح التي حدثت بحق بعض الشعوب والجماعات ، فليس أكثر من "مذبحة الأرمن" حدثاً عالقاً في ذاكرتهم وإشكاليًّاً من جهة مطالبتهم بالاعتراف به بما يدفع نحو ضرورة تقديمه إلى ساحة "الصفح" ، الحدث الذي وقع منذ ما يزيد على القرن لم يُعتبر يوماً ما حدثاً ماضياً بالنسبة للجانب الأرمني حكومةً وشعباً ، فالأرمن الذين يعيشون الحدث حيًّاً يقدمّوه سياسة ذاكرة غالباً ما تكون من أجل التأسيس لاستراتيجية "الصفح" ، من نوع ؛ النُصُب والتواريخ الذاكريَّة مثل ؛ اليوم العالمي ، والذكرى السنويَّة ، ومن جهة أخرى والأهم توفر الاعتراف ، فلا زال الحدث يشكّل أزمة مزمنة في العلاقة الدبلوماسية مع تركيا قد تصل أحياناً إلى شفا الحرب ؛ تحديداً عندما يكون التذكُّر سبباً مباشراً للصراع وديمومة الكره ويكون الصفح على حافة التحقق لو توفر شرطه إذ إنَّه إزاء هذا الوضع الأرمني نجد في الجانب الآخر رفض الأمة التركية تاريخياً "الاعتراف" بجريرة المذبحة الأرمنية (حيث حاولت أنقرة استخدام نفوذها لمنع مختلف البلدان من تمرير مشاريع القوانين التي تسمي حوادث الموت الجماعي الأرمينية باسم "الإبادة الجماعيَّة")[٨٢] ، وكان اعتراف ألمانيا بالإبادة تكفيراً عن موقفها سابقاً (لأنَّها كانت الدولة الوحيدة القادرة على ردع حليفتها تركيا عن سلسلة مظالمها الرهيبة ، بل انَّ ألمانيا قد أعطت الضوء الأخضر فيما يبدو لحليفتها وأطلقت يدها تجاه الأرمن)[٨٣] فالاعتراف هو الأساس أو الخطوة الأولى نحو كل إمكانية لتحقق الصفح ، فهذه الحادثة هي تحدٍّياً جليًّاً للقدرة على الصفح التي لم تغفل الرواية بشاعة ما حدث فيها عن طريق الرصد الذي قدَّمه

الروائي (علي بدر) في روايته (**الوليمة العارية**) التي عرضت سياسة وممارسات الاضطهاد والقمع للدولة العثمانية في العراق - من زاوية رؤية المهمَّش؛ المجتمع العراقي، فضلاً عن كشف واقع المثقف المنقسم بين "الأفندي" و"الشيخ" في آواخر مرحلة الاحتلال العثماني - عن طريق التداخل الزمني للنص ممثلاً بتقنية الميتا قص القائمة على شروع الراوي في كتابة رواية عن تلك المرحلة ، فتظهر للحدث رؤية من طرف (الشيخ أمين) : **((هم الأرمن مساكين لو هم اللي بدوا بحربهم ضد الدولة السُنيّة ..هم اللي خانوا الجيش من الخلف في حرب القفقاس.. خطر الأرمن.. أكبر خطر على البلاد..))**(٨٤)

مما يؤكد حضور الحدث بشدة في الأحاديث اليومية، إلى جانب حضوره المؤثِّر في العلاقات السياسية والاقتصادية بين الأمتين الأرمنية والتركية أو وفق بين ما يسمُى بـ"العالم المسيحي" وبين تركيا وريثة الخلافة الإسلامية، وما يحمل ذلك من دلالة على صراع اختلاف الأديان بما يجعل الحدث للطرف الجاني حاملاً ذريعة حدوثه، بينما يقول الراوي عن (محمود بك) وهو يتذكَّر ملامح (قرباغي) الذي: **((رآه محمود بك للمرة الأولى حين ذهب إلى سيورك مساء ، رآه وهو يقود الصفوف الطويلة للأرمن عند ترحيلهم إلى الشام والعراق، وجهه الأسود الصارم وهو يلمع مثل باذنجانة على ضوء اللوكسات والفوانيس التي يحملها الجندرمة... لا يهتز وهو يسير على حصانه الأطهم ويجرِّب سوطه الأسود القصير على ظهور النساء، نساء بيض مثل الفرو يسرن ببطيء وقد لففن على رؤوسهن الصغيرة إيشاربات قصيرة، كن حافيات وصدورهن تبرز من شق الجلابيب يتمايلن على بعضهن بينما يصعد السوط ويهبط على ظهورهن "طراب.. طراب.." ، تذكر محمود بك خيول الدرك البيض التي دخلت إلى محلات الأرمن في أرضروم ، وفي وان ، وفي تفليس ، وفي أدنة... وقفوا صفوفا منتظمة، تقدّم كبير الططر... رفع ورقة طويلة ثم أخذ يقرأ الأمر الذي وقعه طلعت باشا بترحيل نساء وأطفال الأرمن إلى**

العراق والشام))[٨٥] لا يغفل النص الروائي الحقيقة التاريخية ليضعها في النص ضمن مشهد الانتهاك إذ كانت (أعمال التهجير الجماعي والإبادة بالجملة لجموع السكان الأرمن، وما صاحب ذلك من تجويع وإذلال، وانتهاك للأعراض وسلب للممتلكات تحت سمع الحكّام العنصريين وبصرهم بل بإيعاز منهم وتخطيط بأيديهم)[٨٦]، يستأنف النص تفاصيل المشهد المروِّع ، يقول الراوي : **((هجم الدرك على المنازل بعنف كسّروا الأبواب وحطّموا الأثاث وأخرجوهم بقوة من منازلهم ، ثم ساقوهم بصفوف طويلة في طرق مجهولة ... كان قرباغي يمسك بيده السوط الطويل الذي يسوط به نساء وأطفال الأرمن وهم يسيرون صفّين على الشارع المؤدي إلى الشام، كان يسوقهم بقسوة وعنف، هو ومجموعة كبيرة من الجندرمة القساة الذين يستخدمون كعوب البنادق لضرب المتخلفين عن القافلة... دون أن يفتح أحدا منهم فمه بكلمة أبدا، بينما كانت جثث النساء والأطفال والشيوخ مكدّسة على جانبي الطريق ، جثث مرمية منكفئة على وجهها قافلة لا نهاية لها تسير في الطرق الحجرية الضيقة... مئات الآلاف من النساء والأطفال الذين سفروهم في قوافل سيراً على الأقدام في البراري والجبال... أطفال يتساقطون من الجوع والتعب ، ونسوة يسقطن وسط الطريق فيتركوهن في العراء الى الموت... حامل تتكيء على التي بجانبها فتسقطان كلاهما بمشهد صامت، فلا شيء هناك غير صوت السوط الذي يسلخ الجلود))**[٨٧] نلحظ فاعلية النص الروائي في محاولة خلق تماهٍ بين التصوير الفني للمشهد ببعده الدرامي للحدث التاريخي. أي مسرحة الحدث Dramatization بحسب "بيرسي لوبوك" حيث استقلاليته بذاته دون ثقل أو حضور المؤلف[٨٨]، محاولة في ترك مساحة لتلقي القارئ، وبين المعلومة التاريخية فيما يتعلّق بالمكان والمقصود هنا بلدان الشتات؛ العراق والشام التي تمّ تهجير الأرمن نحوها عبر طرق وعرة في شعاب الجبال قطعت سيراً على الأقدام اندفاعاً وراء (ظن الاتراك أن العرب

المسلمين سيكملون ما بدأوه هم في إبادة الأرمن ، ولكن العرب المسلمين عامة وعرب بلاد الشام بشكل خاص لم يؤوا الأرمن في بيوتهم فحسب بل بسطوا حمايتهم عليهم واهتموا بهم على مستوى الدولة والشعب لتخفيف آلامهم وتسهيل الحياة لهم)[٨٩] إنما لم يكن ذلك إلا طابعاً عاماً، إذ لم تخلُ مرحلة البدايات الأولى من حدوث التهجير من أعمال وحشية قامت بها جماعات من البلدان الرازحة تحت الهيمنة العثمانية متَّخذة من الدين ذريعة لكل سلوك شائن للعقل الحشدي غير المتدبر وقد كشف عن ذلك النص، يقول الراوي: **((خرجوا من بغداد ملثمين على جيادهم النشيطة. – (وين رايحين) – (ننتصر لدين الأسلام من الأرمن المارقين..) وكانت فرصة للشذاد والأدب سزية والشلايتية والشقاوات واليرمازية وتحت صوت الدين كانوا يذهبون جماعات جماعات يهاجمون القوافل المسيِّرة، ينهبون النساء ويغتصبونهن ويسرقون الأطفال غير القادرين على المسير وفي بغداد غدت المعارك بين الشيوخ والملالي بالنعالات هذه المرة، منهم من قال ان الألارمن رفعوا سلاحهم ضد المسلمين فحلّت دمائهم ونساؤهم علينا، ومنهم من قال إنهم من أهل الذمّة ومن اعتدى عليهم اعتدى على الأمة، وكان الشيخ أمين يصرخ بكل صوته بعد أن هفّه نعال تائه وأطار عمامته : (ياجماعة اتفقوا على رأي.. لا تخلُّون الأفندية يتفرجون علينا)....))**[٩٠] الشقاق التشريعي الديني مدعاة سخرية حين يتعلق الأمر بالنزوات والرغبات لذلك قدَّم الروائي (علي بدر) النص وفق تقنية البارووديا أو المحاكاة الساخرة وهي نوع من الأسلبة التي تلجأ إلى فضح وتحطيم لغة الآخرين؛ أي قيام مادة لغوية معاصرة بأسلبة مادة لغوية أخرى فتتحدث عبرها عن موضوعها، عن طريق خلق لغة بارودية كأنَّها كلٌّ جوهري مالك لمنطقه الداخلي[٩١] وقد تشمل في فاعليتها المباديء والأسس العميقة للغير، مثل السخرية من رجال الدين هنا الذين يغفلون جوهره الإنساني ويعوِّلون على الشروح بما يتناسب مع أهوائهم وميولهم.

لكن يوجد من جانب آخر تعاطف واسع مع الأرمن، يقول : **((لقد بكى أهل بغداد القادمين من استنبول حتى الأتراك منهم على مصيبة الأرمن ، دون أن يجرأ أي واحد منهم أن يفتح فمه بكلمة واحدة))**[٩٢] فعاش الأرمن في أوطانهم البديلة سنوات طويلة حاملين جرحاً غائراً لم يتمكنوا من نسيانه أبدا، فضلاً عن تعرضهم في خلال تلك السنوات شأنهم شأن الأقليات الأخرى لمعاناة التهميش والإقصاء التي كانت تنكأ هذا الجرح على الدوام وهو ما رصدناه في رواية **(سواقي القلوب)** للروائية (إنعام كجه جي) – التي تعرضَّت لقضية الأرمن عن طريق شخصية (كاشانية) المرأة الأرمنية – إشارات واضحة عن إمكانية القدرة على الصفح فيما لو تحقق شرط الاعتراف، إذ يركِّز النص على جزئية مهمَّة في هذه الأحداث تظهر في حديث (كاشانية) عن علاقتها بعائلتها المسلمة : **((تعَهَّدتني وأنا بنت أشهر إمرأة موصلّية مسلمة تدعى أم شيت ، أرضعتني من حليبها وربتني مع أبنائها .. فلمّا شببتُ وصرت أفهم الدنيا كانت ترسلني إلى كنيسة الطاهرة صباح الأحد وتعطيني أربعة فلوس لكي أشعل لها شموعاً أمام تمثال العذراء ... لا لم ألبس العباءة في حياتي رغم أن الموصل من المدن المحافظة وكانت أمي المسلمة تقول لي إنني نصرانية وإن ديني يعفيني منها))**[٩٣] في هذه الصورة تتجلى أقصى درجات التعايش بين الأديان التي يمكن عن طريقها نلحظ تصويب النص نحو مسألة ضرورة "عدم التعميم" في الرؤية النابع من التفهم – كما اشرنا – فإذا كان الجاني في حادثة الأرمن مسلماً لا يعني أنَّه يمثّل الدين الإسلامي بالعموم وذلك ما أرادته الروائية من وراء الكشف عن علاقة (كاشانية) بعائلتها المسلمة وعن معاملة أمها بالتبنّي ومراعاة أصلها ومشاعرها واشتراطات دينها ، ويظهر التركيز في النص على مثل هذه المواقف التي تدلل على التعايش رغم اختلاف الانتماء الديني التي بدورها قادت نحو بلورة الرؤية الموضوعية عند (كاشانية) فيتحدث الراوي عنها وعن مراعاة أمها

المسلمة لمشاعرها حتى في عدم ذكر الأكلات بمسمياتها التركيَّة في البيت ، يقول الراوي إنَّها ردَّتْ عليه حين أخبرها إنَّ عمَّته تُسمِّي صينية الباذنجان "إمام بايَلْدِي": ((**تخسأ يا عديم الذوق! – من يجرؤ على التفوُّه بإسم طبخة تركيَّة أمام السيِّدة الأرمنيَّة التي ذَبَحَ أحفاد الإنكشارية أهلها وتركوها بلا عزوة ولا أحباب ؟ قالت لنا وهي تمسح عينيها وتزعم أنَّه البصل... إنَّ السيدة المسلمة التي ربَّتها فرضت على كل أهل البيت أن يستبدلوا بأسماء الطبخات التركية تسميات أخرى مختلفة مراعاةً لها واحتراماً لمشاعرها بعد أن كبرت وفهمت أصلها ومأساة أهلها... ولا يبدو على زمزم أنَّه قد هضم هذه السالفة، فيعترض على إلغاء تسمية من مفردة واحدة لإحلال أخرى من ثلاث مفردات... لكن الخاتون تخرج عن تأدّبها المعهود وتنهره قائلة : اسكت دماغ سز! ونغصٌ بالضحك على المرأة الطيِّبة التي تشطب التعابير التركية من هنا فتقع فيها من هنا**))[٩٤] وذلك الموقف المُساند يُمثِّل موقف العرب جميعاً مع منكوبي حادثة الأرمن – رغم ظن الأتراك عكس ذلك – إلَّا إنَّ موقف العرب مع المهجَّرين الأرمن لم يقتصر على الإيواء فقط بل بسط الحماية والاهتمام على مستوى الدولة والشعب ومن ثمَّ إعطاء الحريَّات لهم عبر فتح المدارس وتدريس اللغة الأرمنية، وإقامة الشعائر الخاصة وغيرها من خصوصيات الطائفة الأرمنية [٩٥]، فنجد أنَّ الروح الإنسانية هنا لا تعرف اختلاف الأديان بل إنَّ الفطرة سبقت تباين الانتماء الديني والإثني في نموذج تعايش فريد حدا بالشخصية نحو بلوغ أصعب مراحل النسيان وهو "الصفح" الذي يُقدَّم في هذا النص حلاً مهماً لمشكلة الذاكرة التي أرَّقتْ النسيج الاجتماعي في هذا البلد متعدد الذاكرات ، وقسمّته طائفياً وسياسياً في ظل سلطة شمولية قومية ، بلمحة ذكية تضع الروائية في هذا النص ترياقاً للكراهيات التي تنتجها الذاكرة المتضخمة بأحقاد الماضي على لسان عجوز أرمنية قادمة من أتون مذبحة كبرى من مذابح التاريخ وخلف لهجتها العامّية تطرح الروائية حلاّ فلسفياً معمقاً

لهذه المشكلة وهو الصفح الذي لا يمحو الذاكرة إنما يُحيِّد آثارها السلبية فقط حيث تبقى الذكرى / الحدث حاضرة مع قبول الآخر والتواصل معه ، تقول :

((عشتُ عزيزةً في بيت أم شيت ، أمي المسلمة الطيبة التي تعرف الله ولا تفرّق بين عباده ، وكنت أفرش لها السجّادة في مواعيد الصلاة وأصوم رمضان مع الأسرة كلّها ، لكنّي لم أنسَ ديني وأصلي ولا مأساة أهلي ، ولمّا كبرتْ بدأتْ أزور أُختي الراهبة في الدّيْر ... وعرفتُ منها إنّ بيتنا في دير الزور كان مفروشاً أرضاً وجدراناً بسجاجيد كثيرة ، تركيّة وقوقازيّة وكرديّة وكان أغلاها تلك التي يأتي بها التُجّار من مدينة كاشان في إيران لأنّها الأبهى ، وبها تُشبّه الحسناء التي لا يقوى الزمان على حسنها ... ولمّا جاءتْ أُختي إلى الدنيا سمّاها أبي (كولفارانك) أي الوردة الفرنسيّة وهي التسمية التي يُطلقها العارفون بالسجّاد على الأزهار المنقوشة فوق صفحات الكاشان والكرمان والتبريز وكل تلك النفائس ... و روتْ أمي لأحدى الجارات أنّ المرحوم زارها في المنام ليلة مجيئي إلى الدنيا وأوصاها بأن تسميني "كاشانية"))(٩٦)

ينطوي هذا النص على إشارة مهمة تضع يدنا على مفهوم الصفح ، وهي عدم غياب الذكرى / الحدث الجلل ، العصيّ على النسيان ، أي أن تبقى الذكرى حاضرة في النفوس في الوقت الذي تكون فيه تلك النفوس قادرة على القبول أو العفو لأنَّ (الصفح عملاً دؤوباً لا يستقيم إلا بذاكرة حيّة فعالة)(٩٧) أي بإمكاني أن أعفو إلّا إنني لا أنسى – فكاشانية التي نشأت نشأة تصالح واستقرار نشأة اعتراف بالاختلاف في كنف الأسرة المسلمة ، صنعت منها كياناً متوازناً في أحكامه غير التعميمية ، ممتلئة بالمحبة التي تمنحها القدرة على التعايش بسلام ، إنسانة مؤهلة للقدرة على الصفح لكنها مسكونة بنكبة أهلها ، تأبى إلّا أن تبحث عن أدق التفاصيل لبيت لم تره وأبوين لم تلمسهما .

الخاتمة

بعد الرصد والاستقصاء خلص البحث إلى :

- اعتماد النص الروائي في تقديم أحداث الانتهاكات بناءً فنياً يتلائم والمضمون من ناحية فداحة الحدث وبما يوفِّر الموضوعية في التقديم بعيداً عن التحيُّزات وما يُثقِل الحدث التاريخي ، فيظهر من ناحية الأسلوب توظيف الفنتازيا تماهياً مع تشوهات فعل الانتهاك بُعداً فائقاً للمعقول كما في رواية (عذراء سنجار) أو توظيف تقنية الميتا قص كما في رواية (حارس التبغ) و (الوليمة العارية) التقنية الفنية التي تبعد سلطة الكاتب وتخرج الحدث من مجال تحيُّز الروائي نحو موضوعية العرض بما يترك المجال فسيحاً للقارئ في توظيف الحدث نقدياً، فضلاً عن اعتماد الراوي المشارك في النص في روايتي (سواقي القلوب) و (ما بعد الحب) التي تمركز التورط مع الماضي في زاوية رؤية قريبة أو مشاركة في الحدث مما يبرر اعتماد الفضاءات المتغيرة زمانياً بين الماضي والحاضر ، ومكانياً بين الوطن والشتات .
- على الرغم من توفُّر النص الروائي على الأحداث الجسيمة والانتهاكات الكبرى في المجتمع العراقي طوال تاريخه الحديث إنما يمكن القول بعدم توفُّر الوعي بمفهوم "الصفح" في المجال الروائي بما هو استراتيجية نسيان اجتماعية هامة بالمفهوم الدريدي الفاعل في بناء المجتمع ، وما تقديم الحدث إلَّا سلوك نقدي معهود في النص الروائي الباحث في قضايا الإنسانية .
- من الجدير بالملاحظة لفت الانتباه نحو أهمية ووجوب الوعي بمفهوم "الصفح" سواء على المستوى الاجتماعي، أو السياسي، أو الروائي بوصفه استراتيجية فاعلة في بناء المجتمعات والمجتمع العراقي على وجه

التحديد بالنظر للأحداث الجسام التي يحفل بها تاريخ المجتمع والتي قدمنا بعض منها على وفق ما قدمته الرواية العراقية ضمن نماذج البحث .

هوامش البحث

(١) معجم لسان العرب / ابن منظور : ٥١٢.

(٢) نفسه : ٥١٤ .

(٣) سورة النور : ٢٢ .

(٤) سورة التغابن : ١٤.

(٥) صفوة التفاسير/ محمد علي الصابوني ، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة (ط٩) د.ت، مج٣ :١٤١.

(٦) ينظر: الصفح – ما لا يقبل الصفح وما لا يقبل التقادم / جاك دريدا : ١٢ .

(٧) الدين والظمأ الأنطولوجي/ د.عبد الجبار الرفاعي ، دار التنوير للطباعة والنشر – بيروت (ط١) ٢٠١٦ : ٧٦-٧٧.

(٨) الذاكرة ، التاريخ ، النسيان / بول ريكور ، ترجمة وتقديم وتعليق : جورج زيناتي ، دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت (ط١) ٢٠٠٩ : ٦٦١ .

(٩) المصالحة والتسامح وسياسات الذاكرة / جاك دريدا وآخرون ، إستحالة الرجوع إلى الوراء والصفح كأفق مفتوح / حنّا آرندت : ٥٩ .

(١٠) نفسه ، الصفح مقاومة لبشاعة العالم /إدغار موران : ٤٤ .

(١١) نفسه ، إستحالة الرجوع إلى الوراء والصفح كأفق مفتوح / حنّا آرندت : ٥٥ .

(١٢) ينظر: الصفح – ما لا يقبل الصفح وما لا يقبل التقادم / جاك دريدا : ٧ .

* يوم الغفران أو الكيبور هو من الأعياد التي ورد ذكرها في سفر اللاويين في التوراة ، وبحسب الموروث الحاخامي إنَّه في هذا اليوم نزل النبيُّ موسى من جبل سيناء للمرَّة الثانية وكان يحملُ معه ألواح الشريعة التي أعلن فيها الربُّ غفرانه لخطيئتهم في عبادة العِجْل ، تراجع : ما هو عيد الغفران / غادة الحلايقة ، دراسة على موقع "موضوع" الإلكتروني في ٢٠١٦/٨/١٦ .

(١٣) ينظر: يتفكرون – فصلية فكرية ثقافية ، رئيس التحرير ، حسن العمراني ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث- المغرب العدد (٢) ٢٠١٣ ، الصفح مقاومة لبشاعة العالم / إدغار موران ، ترجمة وتعليق : حسن العمراني : ٩ ، وينظر : الصفح – ما لا يقبل الصفح وما لا يقبل التقادم / جاك دريدا : ٢٨ .

(١٤) ينظر : الصفح – ما لا يقبل الصفح وما لا يقبل التقادم / جاك دريدا : ٢٢ .

(١٥) نفسه : ١١ .

❖ بدأ النص بمشهد فنتازي عبر حوار دار بين المرأة الحامل التي لا تلد والصقر الذي لا يفارقها والغراب والكلب : ١٣– ١٧، فالمرأة (هي عاشقة الخيال وامرأة الحَمْل المستحيل وعاشقة صقر جوَّال ..) : ١٨٣ ، هذه المرأة الحامل هي سنجار المدينة المُنتَهَكة لكنها تنشبك مع الأمل بعودة الطُهْر فهي عاشقة الصقر الذي استغرب سربست عناقها وعشقها له وحديثها معه قائلاً إنه مجرَّد صقر فأجابته (إنَّه أملٌ جميل وخيالٌ أجمل) : ١٨٣ فسنجار ذات الحمل الثقيل لَّما تزل معانقة الأمل .

(١٦) عذراء سنجار / وارد بدر السالم : ٢٩ .

(١٧) نفسه : ٣١ – ٣٢ .

❖ دلشاد الأيزيدي المتخرج من قسم التاريخ الذي غيروا اسمه إلى (عبد الحافظ) الشرطي الذي يعمل معهم قسراً ، الذي طالما زجره مسؤوله السابق (حجي خان الأفغاني) عن حنينه للعمق المكاني الذي تتسم به سنجار (إنسَ أن تكون قد درست يوماً في التاريخ وأخذت شهادة جامعية به ، فالتاريخ عندكم مجلدات من الأكاذيب والخرافات والسخافات ، زائف وتافه كل تاريخكم يا عبد الحافظ ، أنت الآن مجاهد في سبيل الله) : ٤٥ ، ويمكن أن نلحظ هنا نظرة تيار التطرُّف الاستخفافية إلى تاريخ وإرث الآخر المُختَلِف في حين أنهم متمثلين التاريخ .

(١٨) نفسه : ٨٢ – ٨٣ .

(١٩) عذراء سنجار / وارد بدر السالم : ٨٥ – ٨٧ .

(٢٠) نفسه : ٣٢ .

(٢١) الصفح – ما لا يقبل الصفح وما لا يقبل التقادم / جاك دريدا : ٢١ .

❖ شاعر ومناضل فرنسي ١٨٩٥ – ١٩٥٢ عُرِفَ بأنَّه شاعر المقاومة إلى جانب كونه شاعر الحب والسلام .

(٢٢) ينظر: الصفح – ما لا يقبل الصفح وما لا يقبل التقادم / جاك دريدا : ٢٧ و ٢٩ .
(٢٣) نفسه : ٢٩ .
(٢٤) ينظر: الصفح – ما لا يقبل الصفح وما لا يقبل التقادم / جاك دريدا : ١١-١٢ و ٢٩ .
(٢٥) ينظر: المصالحة والتسامح وسياسات الذاكرة/ جاك دريدا وآخرون ، الصفح مقاومة لبشاعة العالم/ إدغار موران :٤٢.
(٢٦) عذراء سنجار / وارد بدر السالم : ٢٤٠ – ٢٤١ .
(٢٧) ينظر: المصالحة والتسامح وسياسات الذاكرة/ جاك دريدا وآخرون ، الصفح مقاومة لبشاعة العالم/ إدغار موران: ٤٢.
(٢٨) نفسه : ٤٢ .
(٢٩) عذراء سنجار / وارد بدر السالم : ٣٢٦ .
(٣٠) نفسه : ٣٣٧ .
(٣١) يتفكرون – فصلية فكرية ثقافية ، الصفح والمصالحة / عبد السلام بنعبد العالي : ٧.
(٣٢) الدين والظمأ الأنطولوجي / د.عبد الجبار الرفاعي : ٧٧ .
(٣٣) الانتقاد والاعتقاد / بول ريكور ، تر: حسن العمراني ، دار توبقال – الدار البيضاء (ط١) ٢٠١١ : ٢٨.
(٣٤) ينظر : الصفح – ما لا يقبل الصفح وما لا يقبل التقادم / جاك دريدا : ٢٦ – ٢٧ .
(٣٥) الانتقاد والاعتقاد / بول ريكور : ٢٩ .
(٣٦) ينظر: الصفح – ما لا يقبل الصفح وما لا يقبل التقادم / جاك دريدا : ٢٥ – ٢٦ .
(٣٧) ينظر: الكره أو اللاتسامح مع الآخر – منظور نفسي – اجتماعي / د. صالح بريك ، خطوات للنشر والتوزيع – دمشق (ط١) ٢٠١٠ : ١٣٦ ، وينظر : شخصية الفرد العراقي – ثلاث صفات سلبية خطيرة التناقض ، التسلط ، الدموية / باقر ياسين ، دار آراس للطباعة والنشر – أربيل (ط١) ٢٠١٠ : ٢٩ .
(٣٨) الصفح – ما لا يقبل الصفح وما لا يقبل التقادم / جاك دريدا : ٣٠ .
(٣٩) ينظر : نفسه : ٣٠ .
(٤٠) نفسه : ٣١ – ٣٢ .
(٤١) الصفح – ما لا يقبل الصفح وما لا يقبل التقادم / جاك دريدا : ٣٢ .
(٤٢) نفسه : ٣٤ – ٣٥ .

(٤٣) الصفح – ما لا يقبل الصفح وما لا يقبل التقادم / جاك دريدا : ١٩ – ٢٠ .

(٤٤) ارتكبتها قوات التحالف الدولي في العام ١٩٩١ من القرن الماضي بحق الجنود العُزَّل العائدين هرباً من حرب عبثية زجَّتهم بها السلطة العراقية آنذاك بعد قرارها باقتحام دولة الكويت وطريق الموت هو الطريق السريع الذي يربط بين الدولتين الجارتين وسمي بذلك نسبة للأعداد الهائلة التي قضت من الجنود تحت نيران القصف .

(٤٥) مابعد الحب / هدية حسين : ١٤٠ .

(٤٦) نفسه : ١٤٠ .

(٤٧) نفسه : ١٤١ – ١٤٢ .

(٤٨) ما بعد الحب / هدية حسين : ١٤٥ و ١٤٧ – ١٤٨ .

(٤٩) نفسه : ١٤٨ .

(٥٠) حدائق الرئيس / محسن الرملي : ٥٩ .

(٥١) نفسه : ٦٣ – ٦٤ .

(٥٢) المصالحة والتسامح وسياسات الذاكرة / جاك دريدا وآخرون ، إستحالة الرجوع إلى الوراء والصفح كأفق مفتوح / حنّا آرندت : ٥٨ .

(٥٣) المصالحة والتسامح وسياسات الذاكرة / جاك دريدا وآخرون ، إستحالة الرجوع إلى الوراء والصفح كأفق مفتوح / حنّا آرندت : ٥٨ .

(٥٤) ينظر : نفسه : ٥٤ و ٦٠ .

(٥٥) نفسه : ٥٨ – ٥٩ .

(٥٦) نفسه : ٥٤ .

(٥٧) نفسه : ٥٩ .

(٥٨) وهي أعمال قتل ونهب تعرَّض لها أبناء الطائفة اليهودية في بغداد أعقاب سقوط حكومة (رشيد عالي الكيلاني) أثر انقلاب عام ١٩٤١ ، وذهب ضحيتها - عبر أبشع ممارسات عنف من الأهالي ضد العراقيين اليهود - أعداد كبيرة من القتلى والجرحى والخسائر المادية جرَّاء أعمال النهب للدور والممتلكات .

(٥٩) ينظر : المصالحة والتسامح وسياسات الذاكرة / جاك دريدا وآخرون ، إستحالة الرجوع إلى الوراء والصفح كأفق مفتوح / حنّا آرندت : ٥٤ – ٥٥ .

(٦٠) نفسه : ٥٥ .

(٦١) حارس التبغ / علي بدر : ١٥ .
(٦٢) الجماعات المتخيَّلة – تأملات في أصل القومية وانتشارها / بندكت أندرسن ، تر: ثائر ديب ، تقديم : خيري بشارة ، شركة قدمس للنشر والتوزيع – سورية (ط١) ٢٠٠٩ : ٥٢ .
(٦٣) حارس التبغ / علي بدر : ١٢٦ .
(٦٤) ينظر: الجماعات المتخيَّلة – تأملات في أصل القومية وانتشارها / بندكت أندرسن : ٣٨ .
(٦٥) حارس التبغ / علي بدر : ١٢٧ – ١٢٨ .
(٦٦) ينظر : سلسلة يهود العراق ذكريات وشجون ومقالات أخرى / أ.د شموئيل (سامي) موريه : ٧ ، سلسلة مقالات منشورة إلكترونياً : /http://www.academia.edu/11863286
(٦٧) حارس التبغ / علي بدر : ١٢٨ – ١٢٩ .
(٦٨) نفسه : ١٢٩ .
(٦٩) سيكولوجية الجماهير / غوستاف لوبون ، دار الساقي – بيروت (ط٧) ٢٠١٦ : ٦٤ .
(٧٠) ينظر: المصالحة والتسامح وسياسات الذاكرة / جاك دريدا وآخرون ، إستحالة الرجوع إلى الوراء والصفح كأفق مفتوح/ حنّا آرندت : ٥٦ – ٥٧ ، وينظر : م. ن : الصفح مقاومة لبشاعة العالم / إدغار موران : ٤١ ، وينظر : مجلة يتفكرون : ٩ .
(٧١) حارس التبغ / علي بدر : ١٢٩ – ١٣٠ .
(٧٢) المصالحة والتسامح وسياسات الذاكرة / جاك دريدا وآخرون ، الصفح مقاومة لبشاعة العالم /إدغار موران : ٤٨ ، ويتفكرون – فصلية فكرية ثقافية ، الصفح والمصالحة / عبد السلام بنعبد العالي : ٧.
(٧٣) الصفح – ما لا يقبل الصفح وما لا يقبل التقادم / جاك دريدا : ٢٩ .
(٧٤) الدين والظمأ الانطولوجي / د. عبد الجبار الرفاعي : ٧٦ .
(٧٥) ينظر : الانتقاد والاعتقاد / بول ريكور : ٤١ .
(٧٦) الدين والظمأ الانطولوجي / د. عبد الجبار الرفاعي : ٧٦.
(٧٧) الانتقاد والاعتقاد / بول ريكور : ٤١ .

(٧٨) ينظر : يتفكرون – فصلية فكرية ثقافية : الصفح والمصالحة/ عبد السلام بنعيد العالي : ٧ .

(٧٩) ينظر : الدين والظمأ الانطولوجي / د. عبد الجبار الرفاعي : ٥٧.

(٨٠) يتفكرون : الصفح مقاومة لبشاعة العالم / إدغار موران : ٩ .

(٨١) المصالحة والتسامح وسياسات الذاكرة / جاك دريدا وآخرون ، الصفح مقاومة لبشاعة العالم /إدغار موران : ٤٨ و ٥٠ .

(٨٢) اعتراف ألمانيا بإبادة الأرمن تعبير عن إخفاق سياسات تركيا الخارجية / سوراج شارما ، مقال منشور ضمن موقع نون بوست في ٣٠ يونيو ٢٠١٦ : http://www.noonpost.org/content/12122

(٨٣) قتل أمة – مذكرات / هنري مورغنطاو : ١١ – ١٢ .

(٨٤) الوليمة العارية / علي بدر ، منشورات الجمل – ألمانيا (ط١) ٢٠٠٥ : ١١٦ – ١١٧ .

(٨٥) نفسه : ١١٧ – ١١٨ .

(٨٦) قتل أمة – مذكرات / هنري مورغنطاو : ١١ .

(٨٧) الوليمة العارية / علي بدر : ١١٨ – ١١٩ .

(٨٨) ينظر: صنعة الرواية / بيرسي لوبوك ، تر: عبد الستار جواد ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام – العراق (ت١٠١) ١٩٨١ : ٢٢٦ .

(٨٩) قتل أمة – مذكرات / هنري مورغنطاو : ١٦ .

(٩٠) الوليمة العارية / علي بدر : ١١٩ .

(٩١) ينظر : الخطاب الروائي / ميخائيل باختين ، تر: محمد برادة ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع – القاهرة (ط١) ١٩٨٧ : ١٨ .

(٩٢) الوليمة العارية / علي بدر : ١٢١ .

(٩٣) سواقي القلوب / إنعام كجه جي : ٢١-٢٢.

(٩٤) سواقي القلوب / إنعام كجه جي : ٦٣-٦٤.

(٩٥) ينظر : قتل أمّة – مذكرات هنري مورغنطاو السفير الأميركي في تركيا ما بين ١٩١٣-١٩١٦ عن المذابح الأرمنية في تركيا ، تر: ألكسندر كشيشيان ، دار أسامة – دمشق (د.ط) (د.ت) : ١٦.

(٩٦) سواقي القلوب / إنعام كجه جي : ٢٥-٢٦.

(٩٧) مجلة يتفكرون : ٧ .

قائمة المصادر و المراجع

أولاً : الروايات :

١. الوليمة العارية / علي بدر ، منشورات الجمل – ألمانيا (ط١) ٢٠٠٥ .
٢. حارس التبغ / علي بدر، منشورات المتوسط – إيطاليا (ط٣) ٢٠١٦ .
٣. حدائق الرئيس / محسن الرملي ، المدى للإعلام والثقافة والفنون – العراق (ط٣) ٢٠١٦ .
٤. عذراء سنجار / وارد بدر السالم ، شنكال للنشر والتوزيع – دهوك (ط٢) ٢٠١٦.
٥. سواقي القلوب / إنعام كجه جي ، دار الجديد – لبنان (ط٢) ٢٠١٦ .
٦. ما بعد الحب / هدية حسين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت (ط١) ٢٠٠٣ .

ثانياً : الكتب :

١. الجماعات المتخيَّلة – تأملات في أصل القومية وانتشارها / بندكت أندرسن ، تر: ثائر ديب ، تقديم : خيري بشارة ، شركة قدمس للنشر والتوزيع – سورية (ط١) ٢٠٠٩ .
٢. الخطاب الروائي / ميخائيل باختين ، تر: محمد برادة ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع – القاهرة (ط١) ١٩٨٧ .
٣. الدين والظمأ الأنطولوجي / د.عبد الجبار الرفاعي ، دار التنوير للطباعة والنشر – بيروت (ط١) ٢٠١٦ .
٤. الذاكرة ، التاريخ ، النسيان / بول ريكور ، ترجمة وتقديم وتعليق : جورج زيناتي ، دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت (ط١) ٢٠٠٩ .
٥. الصفح – ما لا يقبل الصفح وما لا يقبل التقادم / جاك دريدا ، تر: مصطفى العارف ، عبد الرحيم نور الدين ، دار المتوسط – إيطاليا (ط١) ٢٠١٨ .
٦. المصالحة والتسامح وسياسات الذاكرة / جاك دريدا وآخرون ، تر : حسن العمراني ، دار توبقال للنشر – الدار البيضاء (ط١) ٢٠٠٥ .

٧. سلسلة يهود العراق ذكريات وشجون ومقالات أخرى / أ.د شموئيل (سامي) موريـــــه ، سلســـــلة مقـــــالات منشـــــورة إلكترونيـــــاً : /http://www.academia.edu/11863286
٨. سيكولوجية الجماهير / غوستاف لوبون ، دار الساقي – بيروت (ط٧) ٢٠١٦ .
٩. صفوة التفاسير/ محمد علي الصابوني ، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة (ط٩) د.ت ، مج٣.
١٠. صنعة الرواية / بيرسي لوبوك ، تر: عبد الستار جواد ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام – العراق (ت١٠١) ١٩٨١ .
١١. قتل أمّة – مذكرات هنري مورغنطاو السفير الأميركي في تركيا ما بين ١٩١٣-١٩١٦ عن المذابح الأرمنية في تركيا ، تر: ألكسندر كشيشيان ، دار أسامة – دمشق (د.ط) (د.ت).
١٢. معجم لسان العرب / الإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، دار صادر (د.ط) (د.ت) .
١٣. يتفكرون – فصلية فكرية ثقافية ، رئيس التحرير: حسن العمراني ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث- المغرب العدد (٢) ٢٠١٣ .

ثالثاً : الدراسات :

١. اعتراف ألمانيا بإبادة الأرمن تعبير عن إخفاق سياسات تركيا الخارجية / سوراج شـــارما ، مقـــال منشـــور ضـــمن موقـــع نـــون بوســـت في ٣٠ يونيـــو ٢٠١٦ : http://www.noonpost.org/content/12122 .
٢. ما هو عيد الغفران / غادة الحلايقة ، دراسة على موقع "موضوع" الإلكتروني في ٢٠١٦/٨/١٦.